



روايات مصرية للجيب -

لمسة حب

زهور

63



Looloo

www.dvd4arab.com

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
الناحية الغربية - القاهرة - ت. ٤٤٤٤٤٤

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين
مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن ..
حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..
هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتثبت
الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..
إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى
لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات
الجفاف .. فتشيع عبيرها الفواح فى ثنايانا، وتعيد الخضرة إلى
قلوبنا، والربيع إلى كهولتنا، والامل إلى حنايانا .
إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، ويابتعاده عن
الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا
الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية
الفردية ، نحن نحتاج الان لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا
النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستشوق عبيرها ، فتحرك
مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل من زهرة
إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة
الاحاسيس .. وزهور الحب .

١ - فتاة حائرة ..

تطلعت (يسرا) من نافذة القطار إلى الحقول الخضراء
الممتدة أمامها بعينين شاردين .

بدت وكأنها تحلق بأفكارها بعيدًا عن تلك الطبيعة
الساحرة التى يزخر بها الريف المصرى .

لقد كانت دائمًا ومنذ طفولتها مفتونة بمثل هذه المشاهد
التي تراها عيناها الآن دون أن تحس بها .. فهى عاشقة
لكل ماهو نبت أخضر للأشجار المورقة والحشائش
الخضراء .. للأغصان والزهور .. للحدائق والحقول ..
كانت دائمًا عاشقة للطبيعة .

كانت أسعد أوقاتها دائمًا تلك التى تقضيها داخل تكعيبة
العنب فى منزل الأسرة بالقناطر الخيرية .. وتلك الحديقة
الصغيرة المحيطة بالمنزل، والتى تتفنن والدتها فى
زرعها بأنواع مختلفة من الزهور .

وربما لهذا السبب فضلت كلية الزراعة على ما عداها
للاتحاق بها بعد نجاحها فى الثانوية العامة ، برغم أن
مجموعها كان يؤهلها لكليات أخرى تتمناها غيرها من

الفتيات ، لكنها أحببت هذه الكلية من خلال حبها للطبيعة
والنبت الأخضر ، ولم يكن ليشغلها شيء عن الاستمتاع
برؤية تلك الحقول الخضراء ، سوى أفكارها الحائرة ..
ومشاعرها القلقة بسبب حبها لـ (صلاح) .

لقد قطع اتصاله بها منذ شهر ونصف تقريباً ..
لا اتصال .. لا لقاء .. لا رسائل ، ولا حتى رد على أى من
رسائلها إليه .. وهو الذى لم يكن يقوى على أن يمر
أسبوع واحد دون أن يراها ويلتقى بها .

وهى من جانبها حاولت الاتصال به عدة مرات .. لكن
والده كان يرد عليها دائماً ويخبرها بفضاظة أنه غير موجود .
لقد تعرفت (صلاح) وهى فى السنة الثانية بالكلية ،
ونشأت بينهما مع الوقت قصة حب قوية .. عرفها جميع
الطلاب .

كان (صلاح) هو البادئ فى التعبير عن مشاعره
تجاهها ، ووجدت نفسها تدريجياً تتجاوب مع هذه
المشاعر ، خاصة مع طول الفترة التى عرفته فيها
وإعجابها المتزايد به .

وبدا أن هذا الحب يزداد قوة ورسوخاً مع مرور الوقت
وظلت أسهمه فى تصاعد يوماً بعد آخر .

كان (صلاح) فى هذه الفترة يحبها على نحو غير
عادى .. وبدا وكأنه يتمنى لو يعيش كل لحظة بقربها ..
وأنه مستعد لأن يفعل المستحيل من أجلها .

أما هى .. فكانت أكثر رزانة فى مشاعرها .. لقد أحبته
بالفعل .. لكنها لم تكن غارقة فى الرومانسية مثله .. ومع
ذلك ؛ فإن حبها له كان قوياً وراسخاً فى نفسها .

وكأية فتاة أخرى أحببت .. كانت تحلم باليوم الذى تتزوج
فيه من الرجل الذى أحبته .

وظل هذا الحلم ينمو مع الأيام والسنين .. لم يكن هو
الآخر أقل منها تشوقاً لهذا اليوم أو هكذا خيل لها .

كان يتلطف على ذلك اليوم الذى يجتمعها سوياً تحت
سقف بيت واحد ، ولم تكن هناك عقبات قوية عدا الانتهاء
من دراستهما .. وحصول كل منهما على وظيفة مناسبة ..
ليبدءا معاً فى تحقيق حلمهما .

وانتهت الدراسة .. وعينت (يسرا) فى مركز البحوث
الزراعية بوزارة الزراعة ، بينما عاد (صلاح) إلى بلدته
لبضعة شهور تولى خلالها الإشراف على زراعة الأفندة
التي يمتلكها والده .. فى انتظار تعيينه فى إحدى
الوظائف .. وفى تلك الفترة توفى والدها .. وجاء
(صلاح) ، ليقف بجوارها ويؤازرها ، فى محنتها .

ولم يكن من المقبول بالطبع التحدث خلال هذه الفترة
عن أمور الزواج ، وفي خلال فترة الحداد استلم (صلاح)
وظيفة مماثلة لوظيفتها في وزارة الزراعة .

لكنه سرعان ما زهد الوظيفة ، وأخذ يبحث عن فرصة
للعمل بالخارج ، متعللاً بأن هذه الوظيفة لن تحقق له
شيئاً .. ولا تناسب مع أحلامه .. وعندما أعيته الحيلة في
سبيل الحصول على تلك الفرصة ، تقدم بإجازة بدون
مرتب ، وعاد إلى بلده مفضلاً تولى مسئولية زراعة
الأفدنة التي يمتلكها أبوه ؛ حتى يتمكن من السفر إلى
الخارج ..

ووعدها بأنه عندما تنتهي فترة الحداد سيحضر والده
ويطلب يدها من والدتها .

لكن فترة الحداد انقضت دون أن يخطو في سبيل ذلك
خطوة واحدة .. وبدأت الاتصالات التليفونية والرسائل
واللقاءات تقل بينهما تدريجياً خاصة من جانبه إلى أن
توقفت نهائياً .

وأثار هذا مشاعر القلق في نفس (يسرا) .. لم تكن
تدرى سر توقفه عن الاتصال بها على هذا النحو .
أَيكون مريضاً ؟ أم أن هناك سبباً آخر ؟

لقد كانت رسائله الأخيرة فاترة وقصيرة .. وكان
جوابه الدائم عن تساؤلاتها محيراً .

فهو لا يريد أن يأتي إلى القاهرة لحاجة أبيه الشديدة
إليه في تولى مسئولية الأرض .. برغم أن هذه الحاجة لم
تظهر من قبل .

وهو لم يستطع التقدم إليها حتى الآن لطلب يدها ؛ لأنه
بحاجة إلى تأمين مستقبله أولاً .. والذي لم يتحدد بعد ..
وبضع تعليقات ومبررات أخرى ، ظل يردها في
خطاباته ، وردوده على اتصالاتها التليفونية .

وكان عليها أن تضع حدًا لشكوكها وحيرتها .
أرادت أن تحصل على إجابات لكل تلك التساؤلات
المحيرة التي تدور بداخلها .

لم يكن أمامها سوى أن تسافر إليه بنفسها .. وأن
تحصل منه على رد واضح وصريح .. بشأن حبهما
ومستقبلهما معاً .

وبرغم أن كرامتها وكبرياءها لم يقبل هذا الحل .. إلا
أنها لم تجد سببلاً آخر يريح أفكارها الحائرة ومشاعرها ..
سوى أن تذهب إليه وتحصل منه على إجابته حاسمة
بشأنهما .

كان عليها أن تنحى كبرياءها الأثوى جانبًا ، لتحدد مصيرها مع (صلاح) .

لذا صممت على السفر إليه .

ولذا هي جالسة الآن في القطار المتجه إلى بلدته وهي تحمل معها كل تساؤلاتها وحيرتها .

ومن أجل هذا لم تكن قادرة على التجاوب مع جمال الطبيعة كما كان حالها دائمًا .

فها هو القطار يقترب من بلدة (صلاح) ينبئ بالمواجهة التي سيتعين عليها أن تواجهها .. المواجهة بينها وبين الحقيقة التي تشغلها منذ شهر مضى .

أما زال (صلاح) يحبها كما تحبه ؟ .. أم أن حبه لها فتر مع الوقت ؟ وهل مازال يرغب فيها كزوجة له ؟ .. أم انطفأت رغبته هذه ؟ أما زالاً يحلمان نفس الحلم الذي حلماه معاً منذ سنوات مضت ؟ أم أنها هي وحدها التي تحيا هذا الحلم ؟

إنها تحس الآن برهبة شديدة ، وهي تقترب من هذه المواجهة التي يتعين عليها أن تواجهها .

فقد عاشت سنوات طويلة في انتظار أن يتحقق هذا الحلم .. وهي تدرك جيدًا أن (صلاح) يحبها .

نعم .. بل هي تعرف أن هذا الحب كان يعنى كل شيء بالنسبة له .. فقد كان مُدْلِها في حبها .

فهل يمكن أن تذهب الأيام بحب كهذا ؟

إنها لا تستطيع أن تتخيل ذلك .. ومع ذلك فهي خائفة . خائفة من أن يكون هذا قد حدث .. وأن تجد (صلاح)

لم يعد راغبًا فيها .

لقد بدأت تعاستها مع الحياة .. عندما رحل أبوها عن الدنيا ، وقد كانت تحمل له الكثير من الحب .

لكنها وجدت في (صلاح) التعويض الذي يمكن أن يخفف عنها صدمة فقدما لأبيها .. لذا فلن تتحمل أن تفقده هو الآخر .. ولا تستطيع أن تتقبل فكرة تخليه عنها .

وتوقف صراع الأفكار في عقلها مع توقف القطار في محطته .. فأفاقته من شرودها .. وهي تنظر إلى اللوحة

المعلقة في المحطة . والتي تشير إلى اسم البلدة . سارعت (سرا) بتناول حقيبتها .. وغادرت القطار

قبل أن يستأنف رحلته .

ووقفت على الرصيف وهي تائهة ، لا تدري إلى أين تذهب .

لكنها لم تلبث أن سارت في ركب المسافرين ، وهم

يتجهون إلى الباب الخارجى للمحطة لتجد نفسها فى الخارج .

اقرب منها أحدهم قائلاً :

- أية خدمة يا هانم ؟

سألته قائلة بارتباك :

- إننى أريد الذهاب إلى بلدة تدعى (بحطيط) .

قال لها الرجل :

- (بحطيط) ؟ .. إنها تبعد نصف ساعة عن هنا .

- ألا يمكنك أن تدلنى على وسيلة للذهاب إليها ؟

وأشار الرجل إلى زميل له ينادى على ركاب سيارته

(الميكروباص) قائلاً :

- خذها فى طريقك .. إنها ترغب فى الذهاب إلى

(بحطيط) .

أشار لها الرجل بالركوب قائلاً :

- اجلسى فى المقعد الخلفى .

ووجدت نفسها تنحشر وسط مجموعة من الركاب ،

يتجاوز عددهم العدد المسموح به للسيارة بحوالى الضعف

تقريباً .. ومع ذلك فقد ظل السائق ينادى على ركاب

آخرين .

وأخيراً تحركت السيارة بهذا الحشد من الركاب ، وهى

تنوء بحملها متخذة طريقها وسط أرض ترابية تخرق

عدداً من الحقول ، وقد أخذت تتأرجح فى سيرها .

كانت الأتربة الكثيفة ، وذلك الحشد من الركاب الذين

تتزاحم أنفاسهم داخل السيارة على نحو خانق ؛ يكاد أن

يصيبها بالإغماء .

ومع ذلك فقد كانت أرجحة السيارة على هذا النحو الذى

يحطم العظام ؛ أشد وطأة مما تعانیه وسط هذا الحشد .

لذا فقد تنفست الصعداء عندما عادت السيارة .. لتسير

فوق أرض أسفلتية مرة أخرى .. وبدأ بعض الركاب

يغادرونها تدريجياً ..

توقفت السيارة عند مدخل البلدة حيث التفت إليها

السائق قائلاً :

- إنك تريدن (بحطيط) .. أليس كذلك ؟

أجابته قائلة :

- بلى .

- انزلى هنا .. هذه هى البلدة .

غادرت (يسرا) السيارة .. وهى تحمل حقيبتها ؛ حيث

وقفت تتلفت حولها فى حيرة وهى لا تعلم إلى أين تذهب ؟

وظهر له أحد الأشخاص قائلًا ، وهو ينظر إليه من
خلال الشرفة :

- ماذا تريد يا (فهمي) ؟

قال له المزارع الذى بدا أنه يعرفه :

- الهانم تريد مقابلة الباشمهندس .

نظر إليها الرجل شذرا .. ثم قال : لحظة واحدة .

وبعد قليل ظهر (صلاح) يرتدى جلبابًا مثل سائر

المزارعين فى القرية ، وقد بدا وكأنه استيقظ لتوه من

النوم .. حيث أخذ يسوى شعره المتهدل فوق جبينه .

وما أن أطل من الشرفة إلى حيث تقف (يسرا) حتى

ارتسمت على وجهه ملامح المفاجأة .

وقال بصوت مضطرب :

- (يسرا) !

تأملته (يسرا) مليًا قائلة :

- كيف حالك يا (صلاح) ؟

ظل (صلاح) جامدًا فى مكانه برهة من الوقت .. ثم

سارع بهبوط درجات السلم القليلة التى تفصل ما بين

الشرفة والفناء المحيط بالمنزل .. ليقترب منها قائلًا

وصوته مازال ينم عن اضطرابه :

***** ١٥ *****

وما لبثت أن رأته أحد المزارعين فنادت عليه قائلة :

- من فضلك أريد أن أذهب إلى منزل (صلاح)

(إبراهيم) .

نظر إليها الرجل مليًا قائلًا :

- من أى عائلة ؟ يوجد هنا ثلاثة أشخاص باسم

(صلاح إبراهيم) .

- إنه يعمل مهندسًا زراعيًا .

قال لها الرجل :

- آه .. تقصدين الباشمهندس (صلاح) من عائلة

(السويفى) .. إن الحاج (إبراهيم السويفى) من كبار

رجال البلدة .

- هل يمكنك أن تدلنى على منزله ؟

قال لها الرجل وهو يحمل عنها الحقيبة :

- بل سأصحبك إليه .. تفضلى معى يا هانم .

اجتازت (يسرا) طريقًا أسفلتيًا يمتد بين أرض

زراعية .. لتتوقف فى النهاية أمام باب منزل كبير .. دفعه

المزارع وهو يتقدمها داعيًا إياها للدخول .

وأخذ ينادى قائلًا :

- يا باشمهندس (صلاح) .. يا باشمهندس (صلاح) .

***** ١٤ *****

- ألم تجد بين سفرياتك المتعددة وقتًا للسفر إلى
القاهرة أو الاتصال بي ؟

- لقد كنت مشغولاً .. مشغولاً للغاية يا (يسرا) .

- لم أكن أظن أن هناك ما يمكن أن يشغلك عنى إلى هذا
الحد .

لقد كانت هذه هى كلمتك .. أتذكر ذلك ؟ .. لقد كنت
تقول لى دومًا : إنه لا يوجد شيء فى هذا العالم يمكن أن
يشغلك عنى .

- إن ظروف الحياة العملية تضطر المرء أحيانًا إلى ذلك .
قالت له (يسرا) بلهجة تهكمية :

- نعم .. هذا واضح .. فأنت لم تحاول حتى أن ترد على
خطاباتي ، أو تفكر فى التحدث إلى ولو تليفونيًا .. كان الله
فى عونك إذا كنت مشغولاً إلى هذا الحد .

وتأملت المكان حولها قائلة :

- يبدو أن حياة الريف قد استهوتك برغم أنك كنت

تبغضها من قبل ..

- لقد بدأت أتولى مقاليد الأمور فى أرض أبى .. وأنا
أطبق ما درسته .. وأحقق نجاحًا لا بأس به فى رفع
إنتاجية الأرض .

- أهلاً بك يا (يسرا) .

قالت له (يسرا) وفى صوتها رنة عتاب :

- إنما أسأل عنك أنا .. ما دمت لا تسأل أنت عنى .

نظر (صلاح) إلى المزارع الذى كان واقفاً يرقبهما فى
فضول قائلاً :

- أشكرك يا (فهيمى) تستطيع أن تذهب أنت الآن .

وانتظر (صلاح) حتى انصرف الرجل .. ثم التفت إلى
(يسرا) قائلاً بارتباك :

- يا لها من مفاجأة .. أن تأتى إلى بلدتنا .

نظرت إليه وفى عينيها تساؤل قائلة :

- ترى .. أهى مفاجأة سعيدة أم سيئة ؟

قال لها وهو يزدرد لعابه وقد ازداد ارتبائه :

- إنها مفاجأة سعيدة بالطبع ..

- ولكننى أرى على وجهك غير ذلك .. (صلاح) ..

لماذا لم تحاول الاتصال بى خلال الفترة الماضية ؟ ولماذا

لم ترد على خطاباتي أو مكالماتي الهاتفية ؟

- لقد كنت دائم السفر خلال الشهر الماضى .. كنا بحاجة

لبعض المعدات الخاصة بالأرض .. واضطرت للسفر إلى

الإسكندرية والإسماعيلية .. للاتفاق حول إحضار هذه

المعدات .. والاتفاق مع بعض التجار الذين نتعامل معهم .

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

- إن هذا على كل حال أفضل بكثير من الجنيهاات القليلة
التي كنت أحصل عليها كراتب من عملى فى وزارة
الزراعة .

- هل يعنى هذا أنك طرحت فكرة السفر من تفكيرك ؟
- إن الأمل ضئيل فى الحصول على فرصة سفر مناسبة .
وعادت للتأمل المكان حولها قائلة :

- حسن .. هل سنظل واقفين هكذا ؟ ألن تدعونى
للدخول ؟

قال لها وقد عاوده الارتباك :

- هه ..؟ آه .. طبعاً .. طبعاً .. تفضلى .

لكن ما كادت أن ترتقى درجات السلم القليلة ، لتصل إلى
الشرفة الدائرية المحيطة بالمنزل ، حتى بدا وكأنه تذكر
شيئاً .. فعاد ليستوقفها قائلاً :

- ما رأيك لو جلست هنا قليلاً حتى أنبهم بحضورك ؟
ثم أردف قائلاً :

- أنت تعرفين التقاليد هنا .. وحضورك المفاجئ هذا
سيثير التساؤلات :

قالت له وهى تضع حقيبتها فوق حافة سور الشرفة :

***** ١٨ *****

- (صلاح) .. لقد جئت إليك اليوم مضحية بأية
اعتبارات ، ومتحدية لكل التقاليد ؛ لكى أعرف منك شيئاً
واحداً .. ما هو مصير ارتباطنا سوياً ؟
تلثم قائلاً وهو يردد كلماتها :

- مصير ارتباطنا ؟

نعم .. ولكى أكون أكثر تحديداً .. فإننى أسألك ..
أمازلت راغباً فى الزواج منى ؟



***** ١٩ *****

٢ - وداعًا .. للأبد ..

حاول أن يتهرب من الإجابة قائلًا :

- سأخبرهم بحضورك .

لكنها أحست بغصة في قلبها .. لتهربه من الإجابة على

هذا النحو .. واستوقفته قائلة :

- (صلاح) .. ما هي إجابتك على سؤالى ؟

وفى تلك اللحظة خرجت فتاة متوسطة الجمال إلى

الشرفة لتنادى عليه قائلة :

- (صلاح) .. أين أنت ؟

وما لبثت أن توقفت وهى تنظر إلى (يسرا) ، وملامح

الفضول واضحة على واجهها .

أما (صلاح) فقد بدا فى أشد حالات الاضطراب ، وهو

ينقل بصره بينهما ، وسألته تلك التى خرجت إلى الشرفة ،

وعيناها مازالتا معلقتين على (يسرا) قائلة :

- من هذه ؟

- أجابها (صلاح) متلعثمًا :

- إنها .. إنها .. الأتسة (يسرا) .. مهندسة زراعية ..

كانت زميلة لى فى الكلية .. وقد جاءت لزيارة بعض
أقربانها فى بلدة مجاورة .. ففكرت فى أن تمر علينا لتسلم
على وعلى الأسرة .

وبدت (يسرا) مشدوهة للطريقة التى قدمها بها ..

ولكذبه على هذا النحو غير المبرر .. فى حين بدت نظرات

الشك فى عيني الفتاة الأخرى ..

سألته (يسرا) قائلة :

- لماذا لاتقدمها لى ؟ .. هل هذه هى أختك (زينب) ؟

أجابها قائلًا ، والعرق يتصب من جبينه :

- كلا .. إنها (سعاد) .. ابنة عمى .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلًا :

- وزوجتى :

أحست بالأرض تميد تحت قدميها .. ونظرت إليه فى

ذهول قائلة :

- زوجتك ؟

قال لها (صلاح) وهو ينكس رأسه إلى الأرض :

- نعم .

ابتسمت زوجته قائلة :

- لقد تزوجنا منذ شهر ونصف تقريباً .. يبدو أنك لم تعلمي بذلك .. مع أن بعض أصدقاء (صلاح) في الكلية حضروا عرسنا .

ظلت (يسرا) صامتة برهة من الوقت، وكأنها تحاول أن تستوعب ما سمعته .

وتحولت بعينها إليه وهو منكس الرأس، وقد أطلت منهما نظرة تعبر عن صدمتها .. قائلة له :

- ميروك .

قال لها وعيناه تعجزان عن النظر إليها :

- متشكرا يا (يسرا) .

- ولو أنني أعتب عليك أنك لم تعلمني بأمر زواجك في حينه ؛ حتى يمكنني أن أقدم تهنئتي في وقت ملائم .

قالت لها زوجته وهي تندفع نحوها وعلى وجهها ابتسامة كبيرة :

- لا تعتبي عليه .. فقد سافرنا بعد الزواج مباشرة

وقضينا شهراً كاملاً في الإسكندرية .. كان شهر عسل حقيقياً .

وفي تلك اللحظة خرج رجل تبدو عليه ملامح المهابة، وقد بدا وكأنه تجاوز الستين من عمره ببضع سنوات ..

حذج الرجل (يسرا) بنظرة فاحصة وفي عينيه نظرة تساؤل .

وما أن رآه (صلاح) حتى ازداد اضطرابه، واندفع نحوه مهزولاً وهو يقول :

- أهلاً يا حاج .. لماذا غادرت فراشك وقد أمرك الطبيب بالراحة ؟ .

أجابته الرجل بلهجة خشنة قانلاً وعيناه مازالتا تحدجان (يسرا) .

- لقد تعافيت .. ولم أعد بحاجة إلى البقاء في الفراش .

قال له (صلاح) قبل أن يسأله وهو يشير إلى (يسرا) :

- أعرفك بالمهندسة (يسرا) .. زميلتي في الكلية .

قال لها الرجل دون أن يحييها :

- لقد سبق وتحدثنا معاً هاتفيًا من قبل .. أليس كذلك ؟

أجابته (يسرا) قائلة :

- بلى ..

قال لها الرجل بلهجة ذات مغزى :

- لعلك قد جئت لتهنئة (صلاح) على زواجه من ابنة

عمه .

صعنت (يسرا) دون أن تقول شيئاً .. وإن بدت أشياء
وأشياء في عينيها وهي تنظر إلى (صلاح) .
وقطعت زوجته هذا الصمت الثقيل قائلة لها :
- لماذا أنت واقفة هكذا ؟ تفضلي .. تفضلي بالداخل .
قالت لها (يسرا) بلهجة خافتة :
- أشكرك .. يتعين عليّ أن أسافر الآن .
تسافري ؟ .. ولكنك أتيت لتوك .. فلتبقي معنا هنا يوماً
أو اثنين .

قالت (يسرا) وهي تحاول أن تتمالك نفسها :
- يتعين عليّ أن أسافر الآن .
- فلتبقي على الأقل حتى نتناول الغداء معاً .
نظرت إليه نظرة تعبر عن خيبة أملها قائلة :
- أشكرك .. لقد قمت بواجبك نحوي على أكمل وجه .
عاد ليطأطن رأسه مرة أخرى ، وهو لا يستطيع أن
يواجه نظراتها .

بينما ألحت عليها (سعاد) قائلة :
- لن ندعك تسافرين هكذا .. إن هذا لا يصح .
وتدخل الأب قائلاً بلهجة حازمة :
- ما دامت قد قالت : لك إنها مضطرة للسفر الآن ..

فلتلحي عليها .. ربما هناك مصلحة تستدعي سفرها .
حاولت (سعاد) أن تتكلم قائلة :
- لكن يا عمي
لكن الأب حسم الأمر فقد قاطعها قائلاً - (يسرا) بلهجة
أقرب إلى الطرد :

- مع السلامة يا بنيتي .. شرفت دارنا .
أحست (يسرا) بأن كرامتها قد جرحت كما لم تجرح من
قبل ، وهي تحمل حقيبتها وتبادر بمغادرة المكان .
وتمنت لو أن الموت قد عرف طريقه إليها ، قبل أن تأتي
إلى هذا المكان ، وتعرض لهذه المهانة التي لم تعرفها في
حياتها .

قال (صلاح) لأبيه مستأذناً :
- سأوصلها .
قال له الأب بقسوة :

- إنها تعرف الطريق الذي جاءت منه .
- ولكن لا يصح أن ندعها ترحل هكذا حتى بدون أن
نوصلها .. إننا فلاحون ونعرف الأصول .. أليس كذلك
يا (سعاد) ؟
قالت له (سعاد) متبرمة .. وقد اختلفت لهجة الود
والترحيب المصطنعة في صوتها :

- بلى .. المفروض أن يوصل (صلاح) زميلته .
قال له الأب :

- حتى تستقل السيارة التي نقلها إلى محطة القطار
فقط .. وبعدها تعود سريعاً ؛ لأننى بحاجة إلى مناقشتك فى
بعض الأمور .

سارع (صلاح) للحاق بـ (يسرا) فى اللحظة التي
غادرت فيها المنزل .. قائلاً :

- انتظرى يا (يسرا) .. إننى قادم معك .

وحاول أن يحمل عنها حقيبتها .. لكنها جذبته من يده
بشدة .. وسارت ، وكأنها لا تشعر بوجوده .

قال لها (صلاح) بصوت خجل :

- أنا أعرف أنك الآن ناقمة على .. وأنتك قد أسقطتني
من نظرك .. ولكن لو تعلمين الظروف التي دفعتنى إلى

ذلك يا (يسرا) .. ربما ..

قاطعته قائلة :

- عد إلى دارك يا (صلاح) .. فلست بحاجة إلى

وجودك معى .

- (يسرا) .. أرجوك امنحني فرصة ، لكى أشرح لك

موقفى .

موقفك ليس بحاجة إلى شرح .. إنه واضح تماماً .. لقد
عشت مخدوعة لفترة طويلة من الزمن ، مع إنسان
تصورته يحبنى ، وأنه مخلص ، ووفى لحبه لى .. ولكن .
وتوقفت عن متابعة الحديث قبل أن تقول وصوتها يعبر
عن ألم حقيقى :

- لقد عرضتنى لمهانة لم أتعرض لها طوال حياتى .
واستطردت قائلة وقد ارتسمت ملامح الألم على

وجهها :

- لماذا فعلت بى ذلك ؟ وأين ذهب كل ما قلته عن حبك

لى ؟ .. وكل تلك الآمال التي صورتها ، والأحلام التي حلمنا
بها حول زواجنا المنتظر ؟

- إن الحياة تضطرننا أحياناً للتخلي عن أحلامنا .

- إننا نتخلى عن أحلامنا فقط عندما ما لا نكون

مخلصين لها إخلاصاً حقيقياً .. ومن الواضح أنك لم تكن

مخلصاً فى كل ما قلته لى .

- بل كنت مخلصاً فيما قلته .. ولكن ..

قاطعته (يسرا) قائلة :

- لكنك كنت أضعف من أن تتمسك بإخلاصك هذا .

- (يسرا) .. أرجوك .

- إننى لست أسفة على أن الأمر قد انتهى بيننا هكذا ..
ولا أحاول أن أعاتبك .. ولكن ما لا أستطيع أن أغفره لك هو
أنك قد أخفيت عنى خيانتك لحبنا وزواجك من ابنة عمك ..
ووضعتنى فى هذا الموقف الجارح والمهين .

ولكن .. لا .. ليس الخطأ خطأك .. إنه خطئى أنا .. كان
يتعين على أن أفهم .. وأدرك الحقيقة التى حاولت أن
أتجاهلها .

فانقطاعك عن الاتصال بى .. وعدم ريدك على
خطاباتى .. وابتعادك عن التحدث إلى .. واختفاء لهفتك
السابقة على لقاءاتنا .. كان ذا دلالة واضحة .

ولكننى لم أصدق .. لم أكن لأصدق أن كل تلك الوعود
والأحلام والأمانى قد ذهبت أدراج الرياح .

وأن الرجل الذى كان يذوب فيها حباً ، يمكن أن يهون
عليه حبه هكذا .

- (يسرا) .. لقد اضطررت إلى الزواج من (سعاد)
تحت ضغط من والدى .. وأنت لا تعرفين والدى .. عندما
يريد شيئاً لا يمكن لأحد أن يخالفه .. لقد هددنى بحرماتى
من الميراث وبطردى من منزله .. لو لم أتزوج من ابنة
أخيه .

أخبرنى بأنه سيبيع الأرض ويخفى ثمنها فى مكان غير
معلوم .. ولن يترك لى قرشاً واحداً بعد موته - برغم أننى
ابنة الوحيد - لو لم ألتزم برغبته فى زواجى من ابنة
عمى .. ولن يكون لى مكان فى منزله ، بل ولا فى البلدة
بأسرها لو أصررت على زواجى منك .

ماذا كان باستطاعتى أن أفعل ؟ السفر إلى الخارج
وأبوابه أغلقت أمام وجهى ؟ .. هل أعود إلى الوظيفة
المتواضعة والأجر الضئيل الذى أحصل عليه منها ؟ وهل
يكفى هذا الراتب لتحمل عبء الزواج فى هذا الزمن
الصعب ؟

لقد ظلت طوال حياتى أعتمد على المساعدة المالية
التي يمدنى بها أبى ، حتى بعد أن عينت فى تلك الوظيفة ..
ولولاها لم أكن أستطيع الحصول على مسكن مناسب .. أو
تحمل نفقات المعيشة وأنا بمفردى .. فما بالك لو أصبحت
زوجاً ومسئولاً عن أسرة ؟

نظرت إليه (يسرا) برثاء قائلة :
- كثيرون يحصلون على راتب أقل منك ، ولا يتلقون
مساعدة من آبائهم .. ومع ذلك لم يضحوا بحبهم ويتخلوا
عن أحبهم بالسهولة التى أقدمت عليها .

- وأية حياة تلك التي يحيها أمثال هؤلاء ؟
- حياة ملؤها الحب والسعادة .

قال لها متهمكاً :

- حب .. وسعادة .. كيف ؟ برواتبهم الضئيلة ومطالب
الحياة التي لا ترحم ؟ .. قولى هموم .. وفقر .. ومشاكل
لا تنتقطع .

نظرت إليه ملياً قائلة :

- لقد تغيرت كثيراً يا (صلاح) .. فلم تكن هذه هي
كلماتك فيما قبل .

- لقد غيرتني الحياة .

- هكذا .. خلال شهر ونصف .

- عندما هددنى والدى بحرمانى من الموارد المالية
التي كان يمدنى بها ، وبتركى أتعامل مع الحياة بمفردى ..
راجعت نفسى .. أخذت أحسب الأمور وأتأمل حياتى فى
الحاضر وفى المستقبل .. ولم أجد بدأ من أن أروضخ
لإرادته .. لإحفاظاً على الروابط الأسرية فقط ، ولكن
لعجزى عن مواجهة متطلبات الحياة بمفردى .. يمكنك أن
تتهمينى بالضعف أو التخاذل الآن .. ولكن عندما تنفردين
بنفسك وتراجعين الأمور ستكتشفين أنه استسلام للواقع ..

الواقع الذى لا يمكننى أن أبده .

- ليس الضعف ولا التخاذل فقط يا (صلاح) .. ولكن
الطمع .. أطماع الحياة .. لقد طمعت فى مساعدة أبيك
المادية .. وفى الأرض التى سترثها من بعده . وربما فى
الأرض التى يمكن أن تحصل عليها من وراء زواجك من
ابنة عمك .. وهذا هو الحساب الحقيقى الذى ضحيت من
أجله بحبنا .

لقد كان لكلمات الحب وقتها وزمانها .. الذى ذهب
وولى بالنسبة لك .. وهى كلمات لا شأن لها بمشروع
زواجك الذى بنى على الحسابات المادية فقط .

لقد كنت مخظنة يا (صلاح) عندما قلت لك : إنك قد
تغيرت .. فالحقيقة أنك لم تتغير .. وإنما رفعت القناع
الذى ظللت أراك به عن وجهك الحقيقى .. ويا له من وجه
لم أتخيله !

- لن ألومك لو قلت ما هو أكثر من ذلك .. فأنا أعرف
أننى أخطأت فى حقك .. ولكن يجب أن تعرفى أننى أحببتك
ومازالت أحبك حقاً . يا (يسرا) .

قالت له متهمكاً :

- تحبني ؟ .. ألم تر أن هذه الكلمة قد فقدت معناها
بالنسبة لى ؟
- أنا واثق أنك أيضا تحبيننى .. برغم أن الظروف قد
باعدت بيننا .
- لقد أحببت إنسانا آخر غير الذى أراه أمامى .. إن
(صلاح) الذى أحببته قد مات وانتهى بالنسبة لى .
- لا تقولى هذا يا (يسرا) .
- عد لزوجتك وأبيك يا (صلاح) .. فلست بحاجة
لوجودك معى .
- سأبقى معك حتى تستقلنى السيارة الذاهبة إلى
المحطة .
- يمكننى أن أستقلها بمفردى دون حاجة لبقائك .
- ولكنى ...
قاطعته قائلة :
- أرجوك يا (صلاح) .. دعنى بمفردى .. قلت لك عد
لمنزلك .
- أريد منك أن تصفحى عنى .
- وأنا أريدك أن تذهب الآن .
وبقى واقفا برهة من الوقت وهو متردد .. ثم قال لها :

***** ٣٢ *****

- وداعا يا (يسرا) .

اتخذ كل منهما طريقه .. فاتجه هو عائدا إلى منزله ..
فى حين واصلت هى طريقها فى انتظار مرور السيارة
المتجهة إلى المحطة .
لكنها لم تلبث أن توقفت بعد بضع خطوات قليلة لتتخرط
فى بكاء حار وعنيف .



***** ٣٣ *****

٣ - الخائفة ..

وقفت (يسرا) عدة ساعات فى انتظار مرور سيارة ركاب دون جدوى .

وبدأ الليل يلقي بظلمته على المكان مما زاد من سوء حالتها .. وأضاف إلى عيها النفسى .. إرهاقاً بدنياً شديداً . وأحست بأنها تكاد أن تفقد وعيها من شدة التعب .. فارتكزت على أحد جذوع الأشجار وهى تفكر .. ماذا تفعل ؟ أعود إلى منزل (صلاح) وتطلب المبيت لديهم هذه الليلة ، حتى يأتى النهار وتجد من يوصلها إلى محطة القطار ؟

كان من المستحيل أن تنفذ هذا الحل .

إنه لم يعرض عليها حتى أن يوصلها بسيارة والده ، وهى تعلم بأنه يمتلك سيارة خاصة .. بل اكتفى بمرافقتها لتستقل إحدى سيارات (الميكروباص) .. لتنقلها إلى المحطة .. ويا له من حبيب شهيم !

أتلجأ إلى أحد منازل الفلاحين القريبة من المكان .. وتطلب المبيت لديهم حتى الصباح .. أم تبحث عن أية

وسيلة مواصلات أخرى حتى لو كانت (دابة) لتنقلها إلى المحطة ..

وبينما هى غارقة فى أفكارها .. فوجئت بسيارة زرقاء تتوقف إلى جوارها .. وقد أطل من نافذتها وجه أحد الأشخاص يسألها قائلاً :

- يبدو أنك غريبة عن هنا .

هزت رأسها قائلة :

- نعم .

سألها قائلاً :

- هل أنت بحاجة لمساعدة ما ؟

أجابته قائلة :

- إننى فى انتظار سيارة ميكروباص لتقلنى إلى محطة

القطار .

نظر الشاب إلى ساعته قائلاً :

- سيارة ميكروباص .. لكن سيارات الميكروباص

لا تعمل الآن .

إن السائقين يتوقفون عن العمل على هذا الخط بعد

الخامسة مساءً .. فهم مرتبطون بموعد القطار المتجه إلى

القاهرة غالباً .. والقطار الأخير المتجه إلى القاهرة تحرك

منذ ساعة ..

ارتسمت على وجهها ملامح القلق وهي تقول :
- منذ ساعة .. ولكن ..

سألها قائلاً :

- هل أنت مسافرة إلى مصر ؟

- نعم ..

عاد ليسألها قائلاً :

- لماذا لا تقضين الليلة في البلدة ، وتسافرين غداً في الصباح ؟ سيكون هذا أفضل .

- لا أستطيع ..

قال لها :

- حسن .. يمكنك أن تستقلي إحدى سيارات الركاب المتجهة إلى مصر .. إنها تعمل طوال الليل .. ولو أنى لا أفضل سفر فتاة جميلة مثلك ليلاً بمفردها .

- هل أستطيع ذلك حقاً ؟

أجابها قائلاً :

- نعم .

عادت لتقول بقلق :

- ولكن كيف أصل إلى موقف هذه السيارات ؟

أجابها قائلاً :

- إنها بجوار محطة القطار .. ويمكننى أن أوصلك إلى هناك .

أحست بارتياح وهي تقول له :

- حقاً :

فتح لها الباب الجانبى بجواره قائلاً :

هيا .. اركبى .

ركبت إلى جواره .. وقد أحست بأن لقاءها به جاء نجدة

من السماء . فى هذا الوقت .

سألها قائلاً وعيناه معلقتان على الطريق أمامه :

- هل هذه هي المرة الأولى التى تأتين فيها إلى هذه البلدة ؟

أجابته قائلة :

- نعم .

عاد ليسألها قائلاً :

- ألك أقارب فيها ؟

- كلا .. لقد كنت فى زيارة بعض المعارف .

التفت إليها قائلاً :

- لكن .. كيف تركوك ترحلين وحدك هكذا ؟ ودون أن

يذهب أحدهم لتوصيلك .

كانت هذه هي المرة الأولى التي يتاح لها فيه أن ترى
وجهه عن قرب .. كان شاباً جذاباً .. له عينان تشعان
دفناً .. وبشرة سمراء محببة .

وكانت خصلات شعره السوداء المتهدلة فوق جبينه من
أثر نسيمات الهواء المنعشة ، تضيء عليه مزيداً من
الجادبية .

أما صوته .. فكان قوياً رخيماً .. وإن كان لا يخلو من
دفاع مماثل لذلك البريق في عينيه .

لم تجد ما تجيبه به .. وإن أثار سؤاله شجونها .
ظل يحدق في عينيها لبرهة من الوقت .. ثم عاد ؛ لينظر
إلى الطريق أمامه .

وقد أدرك أن الفتاة تعاني من مشكلة ما .. وأنه من
الأفضل ألا يلح عليها في السؤال .

قال لها دون أن يلتفت إليها مرة أخرى :
- لقد نسيت أن أقدم لك نفسي .. (سامح عبد الفضيل) .
قالت له بصوت خافت :

- (يسرا إسماعيل) .

ابتسم لها قائلاً :

- اسم لطيف .

وأردف قائلاً :

- هل تعملين يا (يسرا) ؟

أجابته قائلة :

- نعم .. إننى مهندسة زراعية .

اتسعت ابتسامته وهو يقول :

- شىء مدهش .

نظرت إليه باستغراب قائلة :

- وما المدهش فى ذلك ؟

أجابها قائلاً :

- لأننى أنا أيضاً مهندس زراعى .. إلى أية جامعة

تنتمين يا (يسرا) ؟

- جامعة القاهرة .

- آه .. لهذا لم أتعرف عليك .. فمن المستحيل ألا يلحظ

المرء فتاة جميلة مثلك .. خاصة ونحن نبدو متقاربين فى

السن .. أو ربما أكبرك ببضع سنوات .. ذلك لأننى حصلت

على شهادتى من جامعة الإسكندرية .

سألته قائلة :

- هل تقيم هنا ؟

- اننى أقيم فى قرية تبعد عن هنا بضعة كيلومترات .
- وهل تمارس عملك هنا أيضا ؟
- ليس بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .. ولكنى أشغل
وقتى برعاية مزرعة والذى .. لأننى لم أعين فى مكان
ما بعد .

- إذن فهو عمل مؤقت .
- وإقامة مؤقتة أيضا .. فأنا لا أنوى قضاء بقية حياتى
فى تلك القرية بالطبع .

- هل تنوى السفر إلى الخارج ؟
- كلا .. ولكنى أرغب فى ممارسة الأعمال الحرة .
واستطرد قائلا :

- لكنك لم تخبرينى .. من هم معارفك الذين كنت
تزورينهم هنا . لابد أننى أعرفهم ، لأن لى أنا أيضا معارف
وأصدقاء كثيرين فى هذه البلدة .
أطلقت زفرة قصيرة وهى تنظر إلى الطريق أمامها
قائلة بعد تردد :

- المهندس (صلاح إبراهيم) .
ابتسم (سامح) قائلا :

- (صلاح إبراهيم السويفى) .
- هل تعرفه ؟

- لقد تقابلت معه مرتين أو ثلاث مرات .. فمعرفتى به
سطحية .. ولكنى على صلة صداقة وطيدة بابن عمه
(محمود) .

لابد أنكما كنتما زملاء دراسة .. فهو أيضا خريج كلية
الزراعة جامعة القاهرة .
- نعم .. كنا زملاء .

- ولكن الدافع الذى يجعلك تأتين لزيارة أسرته هنا ..
لابد أن هناك صلة قوية تربط بينك وبينهم أكثر من صلة
الزمانة .

ولما رآها صامتة وغير راغبة فى استكمال الحديث ..
اعتذر لها قائلا :

- آسف .. إننى لا أريد أن أبدو متطفلاً .. كل ما هنالك
أننى أحاول أن أتجاذب معك أطراف الحديث .. حتى تصلى
إلى موقف السيارات المتجهة إلى مصر .

نظرت (يسرا) إلى الطريق الذى انحرف إليه (سامح)
بسيارته ، والذى يخترق الحقول قائلة :

- ولكن .. ليس هذا هو الطريق .

ابتسم قائلاً :

- نعم .. أعرف هذا .. إننى أريد أن أمر أولاً على دار قريبة من هنا . لأسلم أهلها شيئاً .. ثم نواصل طريقنا .

نظرت إليه (يسرا) فى ارتياح :

- لكنك لم تخبرنى بذلك .

- إن الأمر لن يستغرق أكثر من ربع ساعة فقط .

قالت له (يسرا) متحفزة :

- لكن كان يتعين عليك أن تخبرنى بذلك قبل أن تدعونى

إلى ركوب سيارتك .

- وأتركك وحدك هكذا فى ذلك الطريق المقفر ، دون أن

أعرض عليك المساعدة ؟ .. هذا أمر لا يليق بالرجال .

ظلت ترقبه بارتياح وهى تشعر بالقلق تجاه نواياه ..

خاصة مع ازدياد الليل ظلمة .

ثم قالت له :

- هل ستبقى طويلاً فى تلك الدار ؟

- قلت لك : إن الأمر لن يزيد عن ربع ساعة .

- أما زالت هذه الدار بعيدة ؟

قال لها (سامح) وهو يتأملها :

- إننا نقتررب منها .. هل تعرفين أنك جميلة للغاية ؟

قالت له فجأة بلهجة حازمة :

- من فضلك أعدنى من حيث جنت !

- كيف يكون هذا ؟ وماذا ستفعلين فى هذا المكان

بمفردك ؟

- سأعود إلى منزل الحاج (إبراهيم السوفى) :

- لكنك قلت : إنك تريدن السفر إلى القاهرة الليلة .

- لقد غيرت رأى .

حدجها بنظرة فاحصة قائلاً :

- هل تخافين منى ؟

حاولت أن تظهر شجاعة أمامه قائلة :

- كلا .. كل ما هنالك أننى غيرت رأى .. وأريد أن

أبيت الليلة فى منزل الحاج (إبراهيم) .

- حسن .. ولكن بعد أن أتم مهمتى أولاً .

قالت له بعصبية :

- قلت لك أريد أن تعيدنى الآن .. أو أنزلنى هنا .

قال لها بانفعال :

- كيف أتركك هنا وسط هذه الحقول .. وفى هذا المكان

المظلم ؟

- لا تدفنى للصراخ .
نظر إليها بدهشة قائلاً :
- الصراخ !؟
- نعم .. إذا أصرت على عدم إعادتي من حيث
جنت .
- إذن فهذا صحيح .. أنت تخشيني .
وتأمل المكان حوله قائلاً :
- على كل حال .. لو صرخت فلن يسمعك أحد هنا .
واقترب بوجهه منها وهو يستطرد قائلاً :
- كما أنني أستطيع أن أخول بينك وبين الصراخ ..
لو وضعت يدي على فمك .
تراجعت (يسرا) برأسها إلى الوراء في خوف قائلة :
- إذن .. فشكوكي في محلها .. إنك تضر لي شراً .
- يبدو أنك قد اعتدت الشك في الآخرين .
قالت له وهي تكاد تبكي :
- أرجوك .. أتوسل إليك أعدنى من حيث جنت ..
ولا تلحق بي الأذى .
قال لها بانفعال واضح :

- أي أذى هذا الذي تتحدثين عنه ؟ أهذا هو جزائي
لأنني قدمت لك يد المساعدة ؟
وفجأة صدر صوت غريب من محرك السيارة ..
فأوقفها محدثاً صريخاً عالياً .
عادت لتتراجع في مقعدها ونظرات الخوف تتراقص
في عينيها قائلة :
- لماذا أوقفت السيارة !؟
لكنه لم يجيبها .. بل نظر إليها شذراً .. وهو يغادر
السيارة حيث فتح غطاء المقدمة وبدأ يفحصها .
بينما انكشفت هي في مقعدها .. وتمنت لو أنه ترك
مفاتيح السيارة .. في مكانها لتهرب بها .. بعد مغادرتها
إياها .
كما فكرت في أن تسارع بمغادرة السيارة لتركض بعيداً
عنها .
لكن ربما لو فعلت ذلك ، لحفظته على الركض وراءها ،
واللحاق بها ، ليعجل بالاعتداء عليها .
وحتى لو حاولت أن تهرب .. فأين تذهب في هذا
المكان الذي تحاصره الحقول ؟ وهي لا تجد أمامها أي
شخص ، لتستغيث به .

وبينما هي مستغرقة في أفكارها .. محاولة البحث
لنفسها عن أى مخرج من هذا المأزق العصيب، الذى
وجدت نفسها فيه مع شخص لا توحى تصرفاته بالثقة
ولا الأمان .

وجدته وقد أغلق غطاء مقدمة السيارة عاندا إليها وهو
يقول :

- هذا ما كان ينقصنا .. لقد أصيبت السيارة بعطب .
قالت له بعصية :

- حيلة مكشوفة .. بالطبع أنك تتظاهر بأنها لا تدور
لغرض فى نفسك .
وسألها قائلاً :

- هل تعرفين قيادة السيارات ؟
أجابته قائلة :

- كلا .

- لو كنت تجيدين قيادتها ؛ لأسلمتك مفاتيحها لتجربى
قيادتها بنفسك ، وتعرفى أننى لا أنتظر بأنها معطلة ..
ولكن هذه هى الحقيقة فعلاً .

- إذن فأنت الذى تعمدت إعطائها لتحقيق نواياك
السيئة .

أطلق زفرة تعبر عن ضيقه قائلاً :

- كيف يمكننى إقناعك ؟ .. على كل حال الدار التى أبغى
الذهاب إليها ليست بعيدة كثيرًا عن هنا .
- هل تريدنى أن أذهب معك فى هذا الطريق
المظلم ؟

فتح باب السيارة ليجلس أمام عجلة القيادة قائلاً :

- بل أقترح أن تبقى هنا .

وبدأ فى إغلاق الأبواب الخلفية للسيارة .

نظرت إليه وهو يعمل على إغلاق الأبواب الخلفية ،
وقد زادت مخاوفها .. وما لبثت أن فتحت الباب الذى
يجاورها قبل أن يعمد إلى إغلاقه أيضًا .. وانطلقت راکضة
فوق الطريق فى الاتجاه العكسى .

هتف (سامح) قائلاً :

- أيتها الحمقاء .. ماذا تفعلين ؟

لكن (يسرا) لم تأبه له .. بل أخذت تركض بأقصى
ما لديها من سرعة ، وهى تحاول الهرب منه .

وفجأة توقفت وقد انطلقت منها صرخة مدوية .. فقد
رأت كلبًا شرسًا يعترض طريقها .. وهو ينبج بشدة أثار
مخاوفها .

وبدا وكان الكلب سيهم بالانقضاض عليها بين لحظة وأخرى . ولو لا أنها أحست بساعد يحيط كتفيها وصوت هامس يقول لها :

- لا تصرخي .. ولا تظهرى له أنك خائفة !.

إن تلك الكلاب مدربة على حراسة الحقول ، وقد ينقض عليك لدى أدنى حركة تقومين بها ، لذا احتفظى برباطة جأشك .

كانت يده قابضة على كتفها بقوة وصلابة على نحو أنساها خوفها منه .

بل أحست أن أصابعه الدافنة تعيد إليها الاطمئنان برغم الخطر الذى يتهدها .. إزاء ذلك الكلب الشرس .

وتقدم (سامح) خطوتين تجاه الكلب بعد أن نحاها خلفه .. ثم انحنى على الأرض فى حركة سريعة ؛ ليتناول أحد الأحجار .. وقذفه بها وهو يصيح فيه بصوت عال .

أحس الكلب بصلاية الشخص الذى يتصدى له .. فترجع إلى الوراء وهو مستمر فى النباح .. ثم ما لبث أن انطلق مبتعداً من حيث جاء .

وتنفس (سامح) الصعداء حينما رأى الكلب يعود إلى الحقل .

ثم التفت إليها قائلاً بحدة :

- أرايت نتيجة حماقتك ؟ .. إن ركضك على هذا النحو جعل الكلب يطاردك .. وكان من الممكن أن يمزقك بأنيابه وأظفاره الآن .

لم تجبه .. بل استسلمت ليده وهى تقبض على ذراعها ليعيدها إلى السيارة .. وكأنها مخذرة ..

لكن ما أن استقرت داخل السيارة .. حتى تنبتهت لنفسها .. وأدركت بأنه إذا كان خطر الكلب قد زال .. فإن خطر الذئب الذى يصحبها لم يزل بعد .

قالت له وقد عاودتها مخاوفها :

- كنت أفضل أن أعرض لأنياب الكلب ، عن البقاء معك فى هذه السيارة .

نظر إليها فى غضب قائلاً :

- هكذا ؟

وقام بفتح باب السيارة الذى يجاورها وهو يستطرد قائلاً :

- حسن .. يمكنك أن تغادرى سيارتى .. تذهبى حيثما

سنت لو أردت .. ولكن يجب أن تعلمى أننى لن أحاول إنقاذك من أى خطر يمكن أن تتعرضى له .

همت (يسرا) بمفادرة سيارته .. لكنها تذكرت كلاب الحقول وما يمكن أن يلحقوه بها من أذى .. فترددت قليلاً .. ثم مالبت أن تغلب عليها خوفها .. فأثرت البقاء . عاد ليقول لها :

- ماذا تظنين أنى فاعل بك ؟ إننى لا أحاول أن أخدعك .. والسيارة معطلة بالفعل .. وبحاجة إلى إصلاح . قالت له بصوت مرتجف :

- إذن .. هل تعدنى بأنك لن تحاول إلحاق الأذى بى ؟ لم يجيبها .. بل أطلق زفرة قصيرة ، وهو يعاود إغلاق الباب .. ثم أغلق النوافذ تاركاً فجوة صغيرة فى النافذة التى تجاوره .

- وغادر السيارة وهو يغلق بابها خلفه بعنف قائلاً :
- سأذهب لأبحث عن من يصلح السيارة .. وبعدها أوصلك إلى موقف السيارات .. أو أعيدك من حيث جئت حيثما تشائين .

ثم ألقى لها بمفاتيح السيارة من خلال النافذة وهو يردف قائلاً :

***** ٥ *****

- هذه هى المفاتيح .. حتى تكونى مطمئنة . احتفظى بالأبواب مغلقة عليك حتى أعود .. وإذا فكرت فى مغادرة السيارة ، فأنا لن أكون مسئولاً عنك .. وعماً يمكن أن تتعرضى له من خطر .

ثم ابتعد عن السيارة حتى اختفى أمام عينيها . ظلت واجمة فى مكانها وهى تقلب المفاتيح بين يديها . وأثبتت نفسها قائلة :
- يبدو أننى كنت مخبطة فى حق هذا الرجل .. وأظن أنه أهل للثقة .

أرخت رأسها فوق مسند السيارة .. وهى تشعر بآرهاق وتعب شديدين .

وأخذت تستعيد ما حدث لها منذ أن سافرت .. وتذكرت ما قاله لها (صلاح) .. والموقف المهين الذى تعرضت له .. وكلمات أبيه معها التى كانت أشبه بالطرد .. ثم ما آل إليه حالها .

إنسانة مهانة .. مصدومة فى حبها ومشاعرها .. مجروحة فى كبريائها .. وهى ذى جالسة فى سيارة شخص غريب لا تعرفه .. فى مكان مقفر ومظلم .. معرضة لأنواع شتى من المخاطر والمتاعب .

***** ٥١ *****

وتنهدت بعمق وقد انحدرت عبرة فوق وجنتها قائلة
لنفسها :

- ما كان يتعين على أن أسافر منذ البداية .. إننى
أستحق كل ما جرى لى .

★ ★ ★



٤ - جراح نفس ..

استسلمت (يسرا) لغفوة قصيرة ، استسقطت منها
على صوت دقات على زجاج نافذة السيارة .
كان الليل حالك الظلمة .. فلم تستطع أن تتبين صاحب
الدقات فقالت فزعة .

- من ؟

سمعت صوته يقول لها .

- أعطنى مفاتيح السيارة .

أضاعت أنوار السيارة الداخلية ، وقد أحست هذه المرة
بالطمأنينة لسماع صوته .

فقد مرت عليها الدقائق التى تلت ابتعاده ثقيلة وذات
رهبة ، ولولا تعبها الشديد لما استسلمت للنوم ، وسط هذا
الجو المقبض ، وأخذت تبحث عن مفاتيح السيارة .. وهى
لا تدرى أين وضعتها يداها .

فقال لها بصوت نافذ الصبر :

- هل أضعتها ؟

قالت له وهى تخشى أن تغضبه :

- كلا .. لقد تركتها فى مكان ما هنا .. ها هى ذى .
وعثرت عليها ، ثم فتحت زجاج نافذة السيارة لتقدمها
له قائلة :

- هل عثرت على أحد لإصلاح السيارة ؟

لكنه لم يجيبها .. واستطاعت أن ترى ملامح التجهم
على وجهه وهو يفتح باب السيارة .. ليجلس أمام عجلة
القيادة .. ويضئ أنوار كشافاتها الأمامية .
وتمكننت من أن ترى أحد الأشخاص واقفاً أمام مقدمتها
على ضوء هذه الكشافات .. حيث هتف له قائلاً وهو يرفع
غطاء مقدمة السيارة .

- هذا .. حسن .

وغادر (سامح) السيارة مرة أخرى ، ليقف بجوار ذلك
الشخص وهو يتفحص محركها .

بينما نظرت (يسرا) فى ساعتها ، لتتبين أنه قد مر
عليها ساعة كاملة منذ أن غادرها (سامح) ليحضر من
يصلح السيارة .

وعاد (سامح) ليجلس أمام عجلة القيادة ويدير محرك
السيارة وهو يتجاهلها تماماً .

بينما نادى عليه الميكانيكى قائلاً .

- حسن .. أوقف المحرك الآن .

ظلت (يسرا) قابعة فى مكانها ، وهى تتابع إصلاح
السيارة دون أن تنبس بكلمة .. فكل مايعنيها الآن هو أن
تجد حلاً لمشكلتها وتبتعد عن هذا المكان الموحش ..
وهى لا تريد أن تغضب (سامح) بأى استفسار أو
جدال .

فقد أحست أن أية كلمة ستصدر عنها ، ستجعله
ينفجر ، وهو على هذه الحالة من التجهم والغضب .
وأخيراً انتهى الرجل من إصلاح السيارة حيث توجه إلى
(سامح) قائلاً :

- إنها الآن بحالة جيدة .

أنقذه (سامح) أجره وهو يشكره ، حيث عاد الرجل من
حيث أتى بوساطة دراجته البخارية .
ونظر إليها (سامح) قائلاً :

- هل تأكدت الآن أن السيارة كانت معطلة بالفعل ؟
قالت له وهى تنكس رأسها بخجل .

- أنا آسفة .. لكن يجب أن تقدر موقفى .. إننى لم أعتد
ركوب سيارات الآخرين دون سابق معرفة .. ولولا المأزق
الذى وجدت نفسى فيه لما فعلت .. لذا فقد شككت

قاطعها قائلاً :

- والان إلى أين تريدان الذهاب ؟ هل أعيدك من حيث جنت أم أذهب بك إلى موقف السيارات ؟

قالت له وهي تنظر في ساعتها باضطراب .

- لست أدري .. إن الوقت تأخر بي .. وأخشى من

السفر في هذا التوقيت .

سألها قائلاً :

- إذن .. هل أعود بك إلى منزل (الحاج إبراهيم) ؟

قالت له بتردد :

- كلا .. لا أفضل ذلك .

ثم قالت بعد برهة من الصمت :

- لا بأس .. أعتقد أنه لامناس من السفر إلى القاهرة

في هذا الوقت المتأخر من الليل .

- لدى حل آخر .

- وما هو ؟

- أخشى لو قلته لك أن يعاودك ارتياك نحوى ..

وتظنين في الظنون .

ابتسمت برغمها قائلة !

- لا أظن أنني سأفعل .. فأنا الآن أكثر ثقة فيك .

***** ٥٦ *****

- حسن .. إن منزلنا قريب من هنا على مسافة عشرين

دقيقة فقط .. مارأيك لو جنت لتمضية الليلة لدينا ؟ ..

وقبل أن تقولى أى شيء .. يجب أن تعرفى أن هذا المنزل

يضم والدى .. وأختى .. ورجلاً وسيدة يعملان في

خدمتنا .

وإن منزلنا يضم سبع غرف .. أى أنك ستكونين على

راحتك وفي أمان تام .

قالت له وهي مترددة .

- لا أدري ماذا أقول لك ؟

- إذا كنت تثقين في حقا .. لن تقولى شيئاً .. وإنما

ستأتين معي .

- ولكن .. ماذا سيقول والدك .. وأختك عندما يرونك

تأتى إلى المنزل في هذه الساعة المتأخرة من الليل ،

وأنت تصحب معك فتاة لا يعرفانها ؟ .. وماذا ستكون

نظرتهمما لى ؟

- إن والدى ليس رجلاً رجعيًا كما تتخيلين .. بل هو

رجل مثقف ومتفتح .. وكذلك أختى .. فهي فتاة جامعية

ولماعة .

وعندما أشرح لهما الأمر .. فإنهما سيتفهمانه .

***** ٥٧ *****

انه لم يرتكب أى فعل حتى الآن ببرر ارتياك فيه .. عدا
أن مظهره يوحى بالفعل بالثقة .. ولا أدري كيف لم أتبين
ذلك من قبل .

نعم .. يمكننى أن أثق بهذا الرجل .. بل ويتعين على أن
أعذر له عن شكوكى نحوه .. وأشكره على ما قدمه لى .
ولاحث من بعيد أنوار قرية صغيرة .. فقال لها دون أن
ينظر إليها :

- لقد اقتربنا من المزرعة .

- هل يقع منزلكم وسط المزرعة ؟

- على أطرافها .. إنها ثلاثون فدانا من الموالج ..

وحظيرة للماشية .. وأخرى للدواجن .. ومنحل صغير ..
هذه هى كل حياة أبى .

ولكن عما قريب سيتغير كل ذلك .

نظرت إليه بدهشة دون أن تدري مغزى كلمته هذه ..

لكنها سألته قائلة :

- وهل تقيم هنا بصفة دائمة ؟

- إن لى منزلاً فى الإسكندرية .. وأنا أنتقل ما بين

المزرعة وبين الإسكندرية .. وإن كنت لا أخفى عليك ..

أنتى أفضل الإسكندرية عن هذه القرية وتلك المزرعة كثيراً .

- حسن .. مادمت ترى ذلك .

وأدار (سامح) محرك السيارة متجهاً بها إلى منزله .

وابتعد عن الحقول .. حيث بدأت الأنوار تظهر على

الطريق العمومى مرة أخرى .

. وأتاح لها هذا أن تلقى نظرة على وجه (سامح) بعد أن

حال الظلام الدامس بينها وبين ذلك .

كانت نظراته مركزة على الطريق أمامه .. ومرة أخرى

اكتشفت أنه يتمتع بوجه وسيم وملامح رجولية محببة .

وأحست بالخجل من نفسها ؛ لأنها لم تمنحه ثقتها منذ

البداية .

لكنها عادت لتقول لنفسها :

- يتعين على ألا أفسد فى إصدار حكمى .. قبل أن

أرى كيف ستتلقى هذه الليلة .. فمن يدري ؟ .. كيف

سيكون تصرفه معى لو ذهبت إلى منزله ؟ .. وهل سيكون

فى رعاية والده وأخته حقاً كما يدعى .. أم أنه يحاول فقط

اكتساب ثقتى لغرض فى نفسه .

وسرعان ما أثبت نفسها بشدة على هذا التفكير قائلة

لنفسها :

- ألن تتوقفى عن شكوكك هذه ؟ .. أهذا هو جزاء

المساعدة التى قدمها لك .. منذ أن التقى بك حتى الآن ؟

ولولا ارتباطى بوالدى وأختى ، لما أتيت إلى هنا مطلقاً .
- تقول ذلك مع أنك مهندس زراعى .
- هذا هو ما تقرره الشهادة التى حصلت عليها .. أما
ميولى فهى مختلفة تماماً .

مرت برهة من الصمت بينهما قبل أن تقول :
- إننى آسفة .

التفت إليها قائلاً :

- آسفة .. على ماذا ؟

وعندما التقى وجهه بوجهها .. أيقنت هذه المرة على
نحو أكثر مدى الجاذبية التى يتمتع بها .. فأحست
بارتباك .. لكنها سرعان ما سيطرت على ارتباكها وهى
تقول له :

- على تصرفى تجاهك .

نظر إلى الطريق أمامه قائلاً :

- لقد اعتذرت عن ذلك من قبل .. فلا داعى لتكرار

الاعتذار .

- إذن .. فأنت الآن لست غاضباً منى .

نظر إليها وقد لاحت على وجهه شبه ابتسامة ، دون أن

يعلق بشئ .

وما لبث أن توقف بالسيارة أمام باب خشبى كبير حيث
أخذ ينادى قائلاً :

- (جعفر) .. (جعفر) .

وتسائل قائلاً :

- أين ذهب هذا الخفير ؟

وسرعان ما لمحت (يسرا) أحد الأشخاص ، وهو يأتى
مهرولاً ليفتح البوابة أمام السيارة .. حيث سأله (سامح)
قائلاً :

- أين كنت ؟

أجاب الرجل قائلاً :

- كنت أحضر لى كوباً من الشاي .

- إن مكانك هو هنا أمام البوابة .. وأنت تتقاضى أجراً

من أجل ذلك ..

عندما تريد أن تشرب شيئاً فاطلب من أى أحد أن

يحضره لك .

قال له الرجل وهو يرفع يده محيياً !

- آسف يا باشمهندس .

لكن يده سرعان ما تراخت بجواره عندما ألقى نظرة داخل

السيارة .. ورأى (يسرا) جالسة إلى جوار (سامح) .

وسأله (سامح) قائلاً :

- هل الحاج (عبد الفضيل) مستيقظ أم نائم ؟
لكن الخفير لم يجبه .. فقد كان مشغولاً عنه بالتحديق
فى الفتاة وهو فاغر فاه .

وصاح فيه (سامح) قائلاً :

- لماذا تبدو مشدوها هكذا ؟ لقد سألت : إذا كان الحاج
مستيقظاً أم لا ؟

قال له الخفير وهو يعدل من وضع البندقية على كتفه :
- لا أعرف يا بك .. إننى لم أذهب إلى المنزل منذ أن
استلمت ورديتى .

كان من الواضح أنه يملك شخصية قوية تفرض
احترامها على الجميع .

وسرعان ما توقف بسيارته أمام باب المنزل الذى كانت
بعض حجراته مضاعة قائلاً لها :

- تفضلى ..

قالت له حينما غادرت السيارة :

- إننى أشم رائحة عطرة هنا .

- نعم .. إن هذا من أثر الزهور الموجودة فى الحديقة
المحيطة بالمنزل .

- من المؤسف أن المكان مظلم على نحو لا يجعلنى
أراها جيداً .. هل أنت الذى أشرفت على زراعتها ؟

قال لها وهو يفتح الباب .

- لقد شاركت فى ذلك .. هل تحبين زهر البنفسج ؟

- إنه زهرى المفضل .

- إذن .. فنحن متفقان فى ذلك .

ودعاها إلى الدخول حيث كانت الردهة مضاعة بمصباح
خافت ، يرسل إشعاعه على المكان .

وأسرعت إحدى السيدات إلى الردهة ، وقد بدا أنها
مستيقظة لتوها من النوم قائلة فى انزعاج :

- من .. من بالردهة ؟

أجابها (سامح) قائلاً :

- إنه أنا يا أم (إبراهيم) .

أضاءت السيدة أنوار الردهة لتغمر المكان قائلة :

- (سامح) بك !

وارتسمت الدهشة على ملامحها وهى تنظر لـ (يسرا)
وفى عينيها تساؤل . وفضول قوى .

سألها (سامح) قائلاً :

- أين الحاج ؟

أجابته المرأة قائلة دون أن تتخلى عن فضولها :

- نام .. بعد صلاة العشاء .

- و (نجوى) ؟

أجابته قائلة .

- لقد نامت هي الأخرى .

- حسن .. أعدى بعض الطعام للآنسة .. واصحبها

إلى غرفة الضيوف فهي ستبيت الليلة لدينا .

وصاح فيها قائلاً عندما رآها لا تتحرك :

- لماذا أنت واقفة كالتمثال هكذا ؟ افعلى ما طلبته منك .

وتذكرت (يسرا) أنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح .. كانت

صدمتها في موقف (صلاح) منها .. والتعب والإرهاق ..

وخوفها من رفيقها في السيارة . قد جعلها لا تشعر بذلك .

أما الآن وقد ذكر (سامح) الطعام أمامها .. فإنها

أحسّت بجوع شديد وأنها تكاد تسقط من الإعياء لشدة

جوعها .

سألها (سامح) قائلاً :

- أتفضلين أن تتناولى طعامك هنا .. أم فى حجرة

الضيوف ؟

سألته قائلة فى حياء :

- أئن تتناول الطعام معى ؟

- نعم .. لقد كنت جائعاً للغاية .. فتناولت قطعة من

الجبن وبعض ثمرات الطماطم لدى الميكانيكى الذى

أحضرته لإصلاح السيارة ..

وتأملها برهة من الوقت .. وقد تبدلت نبرات صوته ؛

لتصبح أكثر حنوًا وهو يقول لها :

- أعتقد أنه من الأفضل أن تتناولى الطعام فى

الحجرة .. حتى يمكنك أن تغتسلى أولاً وتكونى براحتك .

بالمناسبة .. إن الحجرة مزودة بحمام .. وتستطيعين

أن تأخذى دشًا لو أردت .

قالت له (يسرا) بامتنان :

- أشكرك .. هذا كرم بالغ .

نادى (سامح) على المرأة .. فأنت إليه مهرولة ..

وهى زائغة العينين بينه وبين (يسرا) .. التى أدهشها

حضورها معها فى هذه الساعة .

قال لها (سامح) :

- ماذا تفعلين ؟

أجابته المرأة قائلة :

- أعد الطعام للهانم .

- اصحبها إلى حجرة الضيوف أولاً .. وانتظرى قليلاً

الغرفة تبدو كما لو كانت جناحاً فاحراً فى أرقى فنادق العالم .

وأشارت لها المرأة على أحد الأبواب المغلقة داخل الحجرة قائلة :

- هذا هو الحمام .. إنه مزود بماء دافئ لو أردت أن تستحمى .

ابتسمت (يسرا) قائلة :

- أشكرك يا أم (إبراهيم) .. إننى احتاج بالفعل إلى حمام دافئ فى هذه اللحظة .

قالت لها المرأة وهى تقاوم فضولها ورغبتها فى سؤالها عن قصتها ، وعن سر اصطحاب (سامح) لها إلى المنزل :

- ريثما تنتهين من استحمامك ، أكون قد أعددت لك الطعام .

انتظرت (يسرا) برهة بعد مغادرة المرأة الحجرة .. واندفعت لتتعم بحمام دافئ يزيح عنها كل متاعب اليوم . ولكن بينما هى تستقبل الماء الدافئ فوق جسدها لتزيح به إرهاق السفر وتراب الطريق .. كانت تعرف أن ماء العالم كله لا يمكن أن يزيح عنها آلام نفسها .. التى كانت أقسى بكثير من متاعب الجسد .

★ ★ ★

حتى تغتسل .. ثم احملى لها صينية الطعام إلى الحجرة .
بدا شديد الاهتمام بها .. وقد عاد ليسأل المرأة قائلاً :
- إن حجرة الضيوف نظيفة ومرتبّة .. أليس كذلك ؟
أجابته المرأة قائلاً :

- بلى .. أنا أتولى تنظيفها بنفسى كل يوم .

- حسن .. اصحبى الآتسة (يسرا) إليها .

ثم غادر الردهة وانصرف دون أن يعقب بشيء .
ودت لو تشكره مرة أخرى ، لكنه لم يمنحها الفرصة لذلك .

وبقيت واجمة للحظة أحست بتأثير غيابه عنها .. وقد خلف وراءه فراغاً كبيراً .

قالت لها المرأة .. وهى تشير إلى السلم الخشبي المؤدى إلى الدور العلوى :

- تفضلى يا هانم .

وتقدمتها إلى السلم تتبعتها (يسرا) .. حيث قادتها إلى الحجرة المخصصة لاستضافة الضيوف .

كانت غرفة فسيحة ونظيفة ومرتبّة على نحو جيد .
وبالنسبة لها .. وفى ظل الظروف التى مرت بها طوال اليوم .. وما حل بها من تعب وإرهاق .. فقد كانت هذه

٥ - الضيفة الغامضة ..

غادرت الحمام منتعشة .. حيث وقفت تمشط شعرها ..
ثم ألقّت بنفسها فوق الفراش الوثير ..

كانت متعبة للغاية .. وبدأ دفء الفراش يسرى في
جسدها على نحو كاد يسلمها للنوم سريعاً .. لولا ذلك
الجوع القارص الذى ينهش أمعاءها الخاوية .

وبالفعل لم تقو على المقاومة كثيراً .. فبدأ جفناها
يستسلمان للنعاس . ثم مالبثت أن غطت فى نوم عميق .

وعندما حضرت أم (إبراهيم) وهى تحمل ضيئة
الطعام ؛ وجدت أن من العسير عليها أن توظفها من
النوم .. فقد بقيت واقعة تحت سلطانه تماماً .

غادر (سامح) حجرته متوجّهاً إلى حجرة المكتبة ،
حيث التقى بأم (إبراهيم) وهى تهبط درجات السلم فسألها
قائلاً :

- هل تناولت العشاء ؟

أجابته المرأة قائلة :

- لقد وجدتها مستغرقة فى النوم .. وحاولت أن أجعلها
تستيقظ كى تتناول طعامها .. لكنها أبّت ذلك .
- حسن .. أعتقد أنها بحاجة للنوم أكثر من أى شيء
آخر .. لا توظفها حتى تستيقظ بنفسها .
- حسن .. يا بك ...

ووقفت أم (إبراهيم) أمامه مترددة برهة من الوقت ..
وقد بدا أنها تهتم بسؤاله عن شيء ما .
نظر إليها بعينين فاحصتين قائلاً :

- هل تريدين أن نقولى شيئاً ؟

- لقد كنت أتساءل .. ماذا أقول للحاج (عبد الفضيل)
لو سألتنى .. أقصد لو رأى تلك الفتاة غذا ؟ أو سأل عن
يشغل حجرة الضيوف .

ابتسم (سامح) قائلاً :

- ماذا تقولين للحاج (عبد الفضيل) ؟ أم أنك تريدين
إشباع فضولك ؟

حسن .. هذه الفتاة كانت عائدة إلى القاهرة وتأخرت فى
السفر ولما كان الوقت ليلاً .. ولا أحبذ سفر فتاة مثلها فى
مثل هذا الوقت ؛ فقد عرضت عليها أن تمضى الليلة فى
منزلنا وتساfer صباحاً .

هل أراحك هذا .. أم أن لديك المزيد من الأسئلة
والاستفسارات ؟

- ولماذا لم تبت لدى من كانت لديهم ؟ بل لماذا سمحوا
لها بالسفر في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟
- لن أجيئك على هذا .. اذهبي وأعدى لى فنجان
شاي .. ثم أوى إلى فراشك ولا تزعجيني بأسئلتك هذه .
- هل سنقرأ هذه الليلة ؟

- نعم .. أحضرى لى الشاي فى حجرة المكتب .
- ولكن ألسنت متعباً من السفر ؟

- أنت تعرفين أننى لا أستطيع النوم قبل أن أطلع أحد
الكتب .. هيا أحضرى الشاي وتوقفى عن ثرثرتك هذه .
وتناول (سامح) أحد الكتب من فوق أرفف المكتبة ..
وجلس ليطالعه .

لكنه وجد نفسه عاجزاً عن التركيز فيما يقرأ ، كما اعتاد
أن يفعل كل ليلة .

كانت صورتها ماثلة أمامه فوق صفحات الكتاب .

وأخذ يسترجع ملامحها الدقيقة ، ووجهها الجميل الذى
يضاهى فى جماله الزهرة المتفتحة .

إنه لا يستطيع أن ينكر أن هذه الفتاة قد أحدثت فى نفسه

***** ٧ *****

أثراً ما . لكنه لا يستطيع أن يفهم سر هذه النظرة الحزينة
التي رآها فى عينيها . لقد بدت وكأنها تخفى فى نفسها
آثار جرح عميق .

وأغض عينيه .. ثم أعاد الكتاب إلى مكانه قائلاً
لنفسه :

- ربما أكون مبالغاً فيما أتخيله عنها .

وقرر أن ينحياها عن عقله ويركز تفكيره فيما يقرأ ..
ونجح هذه المرة فى ذلك .

استيقظ (سامح) مبكراً ليجد والده وأخته جالسين أمام
مائدة الفطور فى انتظاره .
وحياهما قائلاً :

- صباح الخير يا حاج .. صباح الخير يا (نجوى) .
سأله أبوه قائلاً :

- ما الذى أحرك هكذا بالأمس ؟

ابتسم (سامح) قائلاً وهو يجلس إلى مقعده :

- ألا نتناول فطورنا أولاً ؟

تحدثت إليه أم (إبراهيم) وهى تضع الخبز أمامهم
قائلة :

***** ٧١ *****

وكان من الصعب أن تسافر في وقت متأخر كهذا إلى
القاهرة خاصة بعد أن غادر آخر قطار المحطة .. ولم يعد
متبقيًا سوى سيارات الأجرة .

وأنت تعرف مخاطر السفر في مثل هذا الوقت بالنسبة
لفتاة بمفردها .. لذا أحضرتها إلى منزلنا وجعلتها تبني
ليتها في غرفة الضيوف . هذا هو كل ما حدث . وهذا
سبب تأخيري بالأمس .

قال له الأب بعد برهة من الصمت :

- ولماذا لم توقظني لدى حضورك ؟

- لم أشأ أن أزعجك .

- حسن .. أعتقد أنك قد فعلت الصواب .. فلم يكن من
اللائق أن تتركها تسافر بمفردها بالفعل في هذا الوقت
المتأخر . ولكن ماذا عن أهلها ؟ ألن يقلقوا لعدم عودتها
بالأمس ؟

- عندما تستيقظ .. عليها أن تدبر ذلك بنفسها .

ابتسمت (نجوى) قائلة :

- إذن لدينا فتاة في حجرة الضيوف .. هل هي جميلة .

صاح الأب في ابنته قائلاً :

- بنت ! ما شأننا نحن إذا كانت جميلة أو غير جميلة .

***** ٧٣ *****

- إن الهانم لم تصح من نومها بعد .

قال الأب بدهشة :

- هانم ؟ .. أية هانم ؟

ارتبك (سامح) وهو ينظر إلى أم (إبراهيم) بامتعاض

قائلاً :

- قلت لك دعيها نائمة حتى تستيقظ بنفسها .

صاح الأب قائلاً :

- حدثني أنا .. من هذه الهانم التي تتحدث عنها أم

(إبراهيم) ؟

- عندما عدت من بلدة (بحطيط) بالأمس .. وجدت

فتاة تقف في انتظار سيارة ميكروباص تنقلها إلى محطة

القطار .

ولما كانت السيارات التي تقوم بنقل الركاب لا تمر في

هذا الوقت من البلدة إلى المحطة .. فقد تطوعت لنقلها

بنفسى .

لكن السيارة أصيبت بعطب في الطريق .. مما اضطرني

إلى البحث عن ميكانيكى .. والانتظار حتى أنتهى من

إصلاحها .

***** ٧٢ *****

لكن (سامح) ابتسم قائلاً لأخته دون أن يأبه لاعتراض الأب :

- نعم .. إنها جميلة للغاية .

قال الأب بخشونة مصطنعة :

- (سامح) إنك بذلك تعطينى إحاء غير طيب عنك .

ابتسم (سامح) لأبيه قائلاً :

- لماذا ؟ لقد سألت (نجوى) عما إذا كانت الفتاة جميلة

أم لا .. فأخبرتها بالحقيقة .

سألته أخته قائلة :

- ما اسمها ؟

- (يسرا) .

والتفت إلى أم (إبراهيم) التي كانت واقفة على مقربة

منهم تستمع إلى الحديث بفضول قائلاً :

- هل استرحت وأشبعت فضولك .

ثم التفت إلى أبيه وأخته قائلاً لهما :

- أعتقد أننا نستطيع أن نتناول فطورنا الآن .

سأله الأب وهو يتناول طعامه قائلاً :

- وما قصة هذه الفتاة ؟

- لم أحاول أن أعرف عنها الكثير .. بل في الحقيقة هي

لم ترو عن نفسها الكثير .. كل ما أعرفه أنها كانت في

زيارة لمنزل الحاج (إبراهيم السويفى) .. وأنها كانت

زميلة ابنه (صلاح) فى الكلية .

- الحاج (إبراهيم) .. وما علاقتها به ؟

- لقد قلت لحضرتك إنها كانت زميلة ابنه (صلاح) ..

وجاءت لزيارته .

- وهل يكفى أن تكون زميلة لابنه فى الجامعة ؛ لكى

تأتى لزيارته ؟ لا بد أنه تربطها بهم صلة قرابة .

- أشك فى ذلك .. فلو كانت قريبة لهم لما سمحوا لها

بالسفر بمفردها فى وقت متأخر كهذا ..

قال (نجوى) :

- إذن .. فهى مهندسة زراعية مثلك .

قال (سامح) فى ضجر :

- نعم .. ولكن ألا يمكننا التحدث فى شيء آخر ؟

★ ★ ★

وفى أثناء ذلك ، كانت الشمس قد بدأت تعكس أشعتها

داخل الحجرة التى تنام فيها (يسرا) من خلال الستائر

***** ٧٥ *****

***** ٧٤ *****

الخفيفة المسدلة فوق النوافذ .. ليسقط الضوء على وجهها .

كانت تشعر بالرغبة فى المزيد من النوم بعد التعب الشديد الذى صادفها ليلة أمس .. لكنها قاومت هذه الرغبة وهى تشعر بأن هناك دافعا يدفعها إلى الاستيقاظ .

وتشاءبت وهى تلقى نظرة فيما حولها بعد أن فتحت عينيها بصعوبة .

ثم ما لبثت أن هبت مذعورة وهى تستوى جالسة فوق الفراش ، وقد بدت لأول وهلة وكأنها قد نسيت كل ما مر بها بالأمس .

فتساءلت قائلة :

- أين أنا ؟ وماذا أفعل فى هذا الفراش ؟

واستقيظت حواسها على أثر استيقاظ جسدها .. فاستعادت أحداث الليلة الماضية قائلة لنفسها :

- آه .. تذكرت .. ذلك الشاب الذى اصطحبني إلى منزله .. وسيارته المعطلة .

وأمسكت برأسها وقد أحست بصداق قائلة :

- يا لها من ليلة !

ثم نظرت إلى ساعتها وهى تهتف قائلة :

- العاشرة صباحًا ! لقد نمت عددًا طويلًا من الساعات .
أرادت أن تغادر الفراش .. لكنها أحست بأن جسدها لا يطاوعها على ذلك .. وأنها مازالت فى حالة استرخاء شديد .

وتذكرت الحلم الذى رآته فى نومها ..

كان حلمًا غريبًا .. لقد رأت نفسها تغوص فى رمال متحركة .. وتبحث عن أى شيء ؛ لتتعلق به محاولة إنقاذ نفسها دون جدوى .

وفجأة أتى ذلك الشاب الذى أحضرها إلى منزله بالأمس ، ومد لها يده قائلاً لها بصوت رخم ونبرة أعادت الاطمئنان إلى نفسها :

- لا تخافى .. لقد جئت لأنقذك .

وتعلقت بيده .. فقام بجذبها من الرمال الناعمة بقوة وصلابة ، حتى نجح فى انتشالها منها .

وابتسمت لنفسها وهى مازالت ناعسة قائلة :

- لا بد أن ذلك الحلم كان تعبيرًا عن مساعدته لى ليلة

أمس .

فى الحقيقة لقد تصرفت معه بوقاحة .. أما هو فكان مثالًا للنبل والشهامة . لكنه مع ذلك يبدو فظًا أحيانًا .

وتساءلت قائلة لنفسها :

- ما اسمه ؟

وسرعان ما تذكرت قائلة :

- أه !. (سامح) .. لقد تذكرت .

وفي تلك اللحظة دخلت عليها أم (إبراهيم) الحجرة
قائلة :

- هل استيقظت حضرتك ؟

- نعم .. يبدو أنني قد تأخرت في النوم .

قالت لها المرأة بحنو :

- نومًا هنيئًا .. لقد أحضرت لك طعام العشاء

بالأمس .. لكن وجدتك مستغرقة في النوم .. فلم أرد أن
أوقظك .

لا بد أنك تشعرين بالجوع .

- لا أستطيع أن أنكر ذلك .

- سأعد لك الطعام .. ريثما تنتهين من حمامك .

استقبلها (سامح) بعد انتهائها من تناول طعامها

قائلًا :

- أرجو أن تكوني قد نمت جيدًا .

ابتسمت (يسرا) قائلة :

- لقد استغرقت في نوم عميق بمجرد أن وضعت رأسي
على الوسادة .. أسفة لأنني تأخرت في الاستيقاظ حتى
الآن .

- لقد كنت بحاجة إلى هذا النوم العميق .. وقد نبهت
بالأيوظك أحد .. قبل أن تستيقظى بنفسك .

- أشكرك على كل هذا الاهتمام .. وعلى كل ما قدمته
لي .

- إنني لم أفعل سوى الواجب .

وكان أبوه وأخته قد لحقا به .. فقدمها إليها قائلاً :

- تعالى لأعرفك بأبى وأختى .. ها هو ذا أبى الحاج
(عبد الفضيل) صاحب هذه المزرعة .. وأختى (نجوى)
التي حدثتك عنها .

ثم أشار إليها قائلاً :

- الباشمهندسة (يسرا) .

وصافحها الأب قائلاً :

- أهلاً بك يا بنيتى .. لقد شرفت منزلنا .

- أشكرك .

صافحتها (نجوى) وهى ترنو إليها بإعجاب قائلة :

- أهلاً بك يا (يسرا) .

- أهلاً آنسة (نجوى) .

واصطحبها الأب إلى الشرفة قائلاً :

- لقد روى لى (سامح) ما تعرضت له من متاعب بالأمس .

- فى الحقيقة لولا أنى التقيت به .. فلا أدرى ما الذى كان يمكننى أن أفعله ؟

- لقد فعل (سامح) ما كان يتعين عليه أن يفعله .

قاله (سامح) وهو ينظر إليها نظرة ذات مغزى .

- لقد قدمت لى خالص الشكر والامتنان الذى أستحقه بالأمس .

أحست (يسرا) بالخجل من نفسها ، وهى تستمع إلى تلميحاته .

بينما أردف الأب قائلاً :

- ولكن .. قولى لى .. هل أنت على صلة قرابة بالحاج (إبراهيم السويفى) ؟

وتلعثمت (يسرا) فى الإجابة قائلة :

- كلا .. أننى .. أننى .. زميلة لابنه (صلاح) .. وقد

ذهبت لتنهنته على زواجه من ابنة عمه .

- لكن هذه نهنة متأخرة .. فقد مضى على زواجهما

حوالى شهر ونصف تقريباً حسب ما علمت .

- لم تتح لى الفرصة لتنهنته من قبل .

- ولكن كيف سمحوا لك بمغادرة منزلهم فى هذا الوقت المتأخر ؟ وبدون أن يكلف أحدهم خاطره ليوصلك إلى المحطة ؟

أثار هذا الحديث شجونها .. وودت لو توقفوا عن الاستمرار فيه ، فقالت سريعاً :

- أنا الذى أصرت على الرحيل فى هذه الليلة .. ولم أرغب فى أن يصحبنى أحد .

سألها (سامح) :

- لماذا ؟

صممت دون أن تقول شيئاً .. فى حين قال الأب لابنه :

- ربما كان للفتاة دوافعها الشخصية فى ذلك .. فلا تلح

عليها بالسؤال .

سألت (نجوى) :

- ولكن .. ألم يقلق عليك والدك ووالدتك لعدم عودتك

بالأمس ؟

- والذى متوفى .. ووالدتى كانت تظن أننى سأقضى

بضعة أيام فى ضيافة أسرة الحاج (إبراهيم) .

ونهضت (يسرا) قائلة :

- أعتقد أنه يتعين علي أن أنصرف الآن .. وأشكركم جميعاً على ضيافتكم الكريمة .

سألها الحاج (عبد الفضيل) :

- لماذا لا تبقيين يوماً أو اثنين في ضيافتنا بالمزرعة ١٩ ؟

★ ★ ★



***** ٨٢ *****

٦ - حذار من الحب ..

قالت له (يسرا) :

- إن هذا كرم بالغ .. لكنني أعتقد أنني لن أستطيع ذلك .

قال الأب :

- لماذا ؟ لقد قلت بنفسك : إن والدتك تعرف أنك

ستقضين بضعة أيام في ضيافة الحاج (إبراهيم) .. وهذا

يعني أنها لن تقلق عليك لو غبت عنها يوماً أو اثنين .

وعلى كل حال .. فلدينا هنا خط هاتفى مباشر

وتستطيعين أن تطمأنيها بالهاتف لو أردت .. لو كان لديك

في منزلك تليفون ..

سارعت (نجوى) لتقول لها :

- سأكون سعيدة .. لو وافقت .. فأنا أقيم هنا بمفردى

وأشعر بوحدة شديدة لعدم وجود صديقة لى تونس

وحدثى .. وقد أحببتك منذ أن رأيتك .

- أشكرك لهذا الشعور .. ولكن أنا مرتبطة بعملى فى

القاهرة .

- أرجو يا (يسرا) .. يوماً أو اثنين لن يجعلك تتأخرين

***** ٨٣ *****

كثيرًا عن عمك .. فلا بد أنك حصلت على إجازة ما دمت
كنت تنوين قضاء بضعة أيام في منزل الحاج (إبراهيم) .
وفكرت (يسرا) .. أنها لم تتخلص من آثار الصدمة
النفسية التي عانتها بعد لقائها الأخير بـ (صلاح) .. برغم
أنها تُحاول التظاهر بعكس ذلك .

ولابد أن عودتها الآن إلى القاهرة ، وانفرادها بنفسها ،
خاصة وهي لا تستطيع أن تقطع الإجازة الآن حتى لا تثير
الأقارب .. بعد أن علمت بعض زميلاتها أنها في طريقها
لمقابلة (صلاح) سيوظف لديها تلك الصدمة وما يترتب
عليها من آثار .

ومن الأفضل لديها أن تحاول أن تتناسى ما حدث لها
بالأمس .. وأن تغلب على صدمتها العاطفية .

وربما كان في وجودها لدى هؤلاء الأشخاص الذين
أكرموا ضيافتها ، وفي جو مختلف بعيد عن منزلها
ما يساعدها على التخلص من بعض الآثار النفسية الأنيمية
الناجمة عن صدمتها .

لذا قالت لهم :

- حسن .. أعتقد أنه يمكنني قضاء يومين آخرين هنا .
صفقت (نجوى) بيدها كطفلة صغيرة :

- إننى سعيدة لذلك .

وكذلك ابتسم الأب قائلًا :

- ستكونين هنا على الرحب والسعة .

أما (سامح) فقد بدا غير مستريح لذلك .. وإن حاول أن
يرسم على وجهه ابتسامة باهتة تعبر تعبيرًا زائفًا عن
سروره لذلك .

★ ★ ★

سألته (نجوى) قائلة :

- ما رأيك لو قمنا بجولة صغيرة في المزرعة ؟ أعتقد
أنها ستعجبك .

- لا بأس بذلك .. سأبدل ثوبى وآتى معك .

فتحت (يسرا) حقيبته وتأملت فستانها الوردى .. وقد
اعترتها مسحة من الحزن .

لقد ابتاعت هذا الثوب قبل سفرها بيومين فقط .. وكانت
تظن أنه سينال إعجاب (صلاح) فيما لو كان قد قدر لها
البقاء في ضيافته .

وطالما تخيلت نظرة الإعجاب في عينية ، وهو يتأملها
تتهادى أمامه بهذا الثوب .. فهي تعرف أنه يحب اللون
الوردى كثيرًا .

لقد كلفها هذا الثوب ثمناً باهظاً أطاح بميزانيتها .. لكنها
كانت ترى أن نظرة الإعجاب في عيني الإنسان الذي أحبته
تساوى أن تدفع هذا الثمن .

وها هي ذى أمنيتها قد ذهبت مع الرياح .. كما تبددت
معها أمان أخرى .. وتتهددت وهي تعيد الثوب إلى مكانه
لترتدى بلوزة خضراء ، وبنطلوناً من القطيفة السوداء .
وأسرعت بإغلاق الحقيبة ، وإعادتها إلى الدولاب ..
قبل أن تنزلق إلى المزيد من التفكير .. والحزن .. فبقاؤها
هنا جزء من محاولتها الهرب .. ودفع نوبة الأحزان بعيداً
عنها .

وهبطت في السلم حيث استقبلتها (نجوى) بصفير عال
قائلة :

- ما كل هذه الفتنة والجمال ؟

كان (سامح) يمر بالمصادفة وأتيح له أن يراها .. فلم
يستطع أن يمنع نفسه من التحديق بها .

إنه يراها تزداد جمالاً في كل مرة تقع عيناه عليها عن
ذى قبل . ولمحته وهو يحرق بها .. فسارع بخفض
بصره .. واندفع مواصلاً طريقه نحو إحدى الحجرات .

بينما ابتسمت (يسرا) قائلة لـ (نجوى) :

- إنك تبالغين في مدحي .

- ليس فيما أقوله أدنى مبالغة .. فلو كنت رجلاً

ما تركتك تغفلين من يدي .

هيا بنا لنقوم بجولتنا حول المزرعة .

- إن لديكم هنا حديقة رائعة .

- هل رأيتها ؟

- نعم .. لقد أقيت عليها نظرة من نافذة الحجرة .. وإن

كنت قد أحسست بشذابها بالأمس قبل أن أراها .

- لقد ساهم (سامح) في العناية بها .. بالطبع كلا كما

يقدر قيمة ذلك . لأن هذا تخصصكم .

- إننى متخصصة فى البساتين وزراعة الموالح ..

برغم أن عملى فى وزارة الزراعة فى مركز البحوث

لا يتفق تماماً مع تخصصى .

- حقاً .. إذن فستبدلين رأيك بشأن حدائق الموالح التى

نزرعها هنا .

- أديكم هنا حديقة موالح ؟

- إن هذا هو الإنتاج الرئيسى الذى تعتمد عليه

المزرعة .. سترين ذلك بنفسك .

وفى تلك اللحظة غادر الحاج (عبد الفضيل) إحدى

الحجرات متجهًا إلى حجرة المكتبة حيث التقى بابنته
(يسرا) .. فابتسم لهما قائلاً :

- أرجو أن تحسنى ضيافة (يسرا) يا (نجوى) .

- إننا سنقوم بجولة في المزرعة .

- حسن .. أرجو لكما وقتًا طيبًا .

- واستدركت (نجوى) قائلة :

- أبى .. هل تعرف أن (يسرا) متخصصة في زراعة

المواالح ؟

قال الأب وهو ينظر إلى (يسرا) :

- حقًا ؟

- ليس هذا بالضبط .. ولكن ذلك كان مجال تخصصي

في الكلية .

- إذن يسعدنى أن ألتقى بك بعد قيامك بهذه الجولة ..

وزيارة حدائق المواالح .. فأنا أريد أن أحصل على رأيك

بشأنها .

كان (سامح) قد غادر حجراته بدوره .. حيث استمع

إلى هذا الحديث الذى يدور بين الأب وبين (يسرا) ..

وبدا متجهًا قليلًا وهو يقول لأخته :

- لا تبتعدا كثيرًا .

ألقت عليه (يسرا) نظرة سريعة .. وهى تتساءل عن
سر تجهمه .. لكنها وجدت نفسها تتمنى لو أنه رافقهما فى
هذه الجولة .

وتحول (سامح) إلى أبيه بعد انصرافهما قائلاً :

- ما الداعى لذلك ؟

نظر إليه الأب قائلاً :

- لا أدرى عما تتحدث .

- بل تعرف عما أتحدث .. لم تعد بحاجة لرأى أحد

بخصوص حدائق المواالح .. لأننا سنبيع هذه المزرعة ..

لقد وعدتني بذلك .

قال له الأب وهو يوليه ظهره :

- أنا لم أعدك بشيء .. أنت الذى ظللت تلح على طول

الأشهر الماضية بشأن البيع .. وقلت لك فى النهاية : إننى

سأفكر فى هذا الأمر .

- أبى .. إن المشروع التجارى الذى حدثتك عنه ..

سيجلب لنا أرباحًا، تفوق ما تحصل عليه من هذه

المزرعة .

إننا فى عصر المشاريع التجارية الناجحة .. وليست

تلك المزارع التى لا تكاد تغطى نفقاتها .

قال له الأب محاولاً إنهاء المناقشة في هذا الشأن .
- حسن .. حسن .. دعنا لا نتحدث في هذا الأمر الآن ..

فأنا لست مهياً لمناقشته مرة أخرى .

- لكنك لم تعطني رأياً قاطعاً .

- عندما أصل لقرار سأعطيك رأياً .

بدت ملامح النقمة على وجه (سامح) وهو يحاول أن
يستشف ما يدور في رأس أبيه العنيد .. لكنه وجد أنه
لا سبيل لذلك . وهم بمغادرة المكان .. لكن الأب استوقفه
قائلاً :

- انتظر ..

واستطرد قائلاً :

- لماذا لا ترحب ببقاء هذه الفتاة في ضيافتنا ؟

- ما الذي يدعوك لمثل هذا القول ؟

- هذا ما رأيته واضحاً على وجهك .. لقد بدوت غير

مرحب بدعوتي لها للإقامة في ضيافتنا خلال اليومين
القادمين .. برغم أنك أنت الذي أحضرتها إلى هنا .

- لأنني أعتقد أننا قد قمنا بواجبنا نحوها على أكمل
وجه ليلة أمس .. ولم نعد ملزمين بتقديم المزيد من الكرم
نحوها .

ثم إننا لا نعرف هذه الفتاة معرفة حقيقية .. حتى
نجعلها تختلط بـ (نجوى) وتصادقها على هذا النحو .

حدجه الأب بنظرة فاحصة قائلاً :

- هل أنت واثق أن هذا هو السبب الحقيقي وراء رفضك

لبقاء هذه الفتاة في ضيافتنا ؟

- نعم .. وماذا يكون غير ذلك ؟. كان يتعين علينا أن

نكتفي بما فعلناه معها بالأمس وأن نتركها تستأنف سفرها .

- على كل حال .. لقد وجهنا لها الدعوة .. ولا يمكننا أن

نتراجع الآن .

ثم أردف قائلاً :

- وأنا أنتظر منك أن تتعامل معها على نحو لائق ..

وبما يتفق مع موقفك الشهم بالأمس .. إنها على كل حال

لن تبقى لدينا طويلاً .

وغادر (سامح) المكان دون أن يخبر أباه عن السبب

الحقيقي الذي جعله يشعر بالقلق إزاء هذه الاستصافاة .

لقد بدأت هذه الفتاة تستحوذ على اهتمامه .. وتحرك

شعوراً خفياً بداخله نحوها .

شعوراً لا يريد له أن ينمو أكثر من ذلك .. بل من

الأفضل أن ينده في مهده .

فهو لا يريد أية ارتباطات عاطفية في المرحلة الحالية ..
بل في أي مرحلة من مراحل حياته .

لقد عاش هذا النوع من المشاعر في إحدى فترات
حياته .. ولا يزال يذكر تلك الفتاة التي أحبها وتخلت عنه .
كانت تلك هي أسوأ فترات حياته وأقساها .. أهمل
دراسته واستسلم لحالة مخزية من الضعف والألم ، كادت
أن تعصف به وبمستقبله .

ومن يومها قرر أن ينحى مثل هذه المشاعر بعيداً عن
حياته . وأن يبقى دائماً مالكاً لزمان قلبه .. جاعلاً عقله هو
الحاكم الأمر في كل ما يتعلق بشئونه .

لقد استطاع أن يتغلب على تجربته المريرة .. ولم
يسمح لها قط أن تهدم حياته .. وأن تؤثر في مصيره .
لم يطرد المرأة تماماً من حياته .. وإنما عرف الكثير
من الفتيات ، وكانت له العديد من العلاقات فيما بعد ..
لكنها كانت دائماً علاقات عابرة .. وعلى سبيل اللهو
والتسلية .

لم يسمح لنفسه أن يقع تحت تأثير جاذبية فتاة مهما
كان جمالها ، وقوة تأثيرها الأنثوي .
وحتى عندما يفكر في الزواج في المستقبل .. فإن

الزوجة المنتظرة ستخضع لاختيار عقلاني بحت ..
ومواصفات لا تتدخل فيها المشاعر والأحاسيس التي
علمته التجربة : كم هي خادعة .

لذا فعندما راودته بعض هذه المشاعر عندما التقى
بـ (يسرا) ، وأحس أنه يكاد أن ينزلق نحو إعجاب قوى
بها . فإنه شعر بالخطر وأدرك أنه يتعين عليه أن يتخلص
من هذه الفتاة ، قبل أن تتنامى هذه المشاعر .

ولم يشعر بارتياح للدعوة التي وجهها أبوه لها .. لكي
تبقى في ضيافتهم ..

وهز كتفيه قائلاً لنفسه وكأنه يحاول أن يطمئننا :
- أن الأمر لن يزيد عن يومين على كل حال .. ثم إنني
قد أكون مبالغاً في مخاوفي .. فالفتاة لن تلتهمني .
ولا ضرر من وجود فتاة جميلة في هذا المكان الجاف
لمدة يومين .

ألقت (يسرا) نظرة على حدائق البرتقال واليوسفي
وهي تهتف قائلة :

- إن لديكم حدائق فسيحة هنا .

قالت (نجوى) :

- ومع ذلك .. فإن (سامح) يسعى لبيع المزرعة .
نظرت إليها (يسرا) بدهشة قانلة :

- بيعها ؟

- نعم .. إننى أحب هذا المكان .. وأجد سعادة حقيقية
فى الإقامة هنا بعكس (سامح) .. فهو يلح على أبى دائماً
من أجل بيع المزرعة بكل محتوياتها، وإقامة مشروع
تجارى فى القاهرة .. يدر دخلاً، سنوياً أكبر .

- لكنه مهندس زراعى .. وكان يتعين عليه أن يكون
أول المعارضين لفكرة كهذه لامحرضاً عليها .. ثم إن
بما رأيت فى هذه المزرعة يستحق الإبقاء عليه بالفعل .

مزرعة الماشية والدواجن، ومنحل العسل، وحدائق
المواالح . إن لديكم هنا مشروعاً زراعياً متكاملًا .

- ولا تنسى هذه الفيلا الجميلة التى نقيم فيها .. والتى
قضيت فيها أجمل أيام طفولتى .. فتيات كثيرات يفضلن

الإقامة فى القاهرة وتستهوېهن إغراءات المدينة .. أما أنا
فأفضل البقاء فى هذه المزرعة الجميلة عن أى مكان آخر .

- ولكنى أظن أن مزرعة كهذه تحقق عائداً مادياً لا بأس
به .. إلا إذا كان ذلك المشروع التجارى الذى يرغب أخوك

فى إقامته يحقق عائداً مادياً كبيراً .

***** ٩٤ *****

- إن (سامح) ليست لديه أية خبرة فى المشاريع
التجارية .. وهو مندفع فى هذا الأمر تحت تأثير رغبته
الشديدة فى مغادرة هذه القرية .. فهو بعكس لا يفضل
الإقامة فى هذا المكان .. وتستهوېه فكرة الإقامة بصفة
دائمة فى القاهرة .. والمشروعات التجارية المربحة .

- وهل يوافقه أبوك على ذلك ؟

- فى الحقيقة لا أخفى عليك أن أرباح المزرعة تتناقص
عاماً بعد آخر بسبب الآفات التى تصيب الثمار وتقلل من
إنتاجية الحدائق .

وإذا استمر الحال على هذا المنوال .. فسوف ينتهى بنا
الأمر إلى خسائر متتالية .. وهو ما جعل أبى لا يرفض
فكرة البيع .. برغم حبه الشديد لهذه المزرعة التى نماها
بكدّه وعرقه .

- هل تسمحين لى بفحص بعض ثمار البرتقال
واليوسفى ؟

- بالطبع .. تفضلى .

★ ★ ★

***** ٩٥ *****

٧ - أمل جديد ..

استقبلها الأب قائلاً وابتسامة ود على وجهه :

- أرجو أن تكون المزرعة قد أعجبتك .

قالت (يسرا) :

- إنها مزرعة نموذجية ومتكاملة .

وقالت (نجوى) :

- لقد قضينا وقتاً ممتعاً معاً .

ابتسم الحاج (عبد الفضيل) قائلاً لـ (يسرا) :

- يبدو أنك اكتسبت صداقة قوية هنا .

- يسعدني أن تكون لى صديقة مثل (نجوى) .

قالت (نجوى) :

- بل أنا التى سعدت بصداقتك وأمل أن تقضى معنا وقتاً

أطول . فاكتماب الصديقات صعب للغاية فى هذا المكان .

ثم استطردت قائلة :

- سأصعد إلى غرفتى لأبدل ثيابى .. هل تأتئين معى

يا (يسرا) ؟

- اسبقينى أنت ، وسألحق بك .

سألها الحاج (عبد الفضيل) قائلاً :

- هل ترغيبين فى تناول الشاى معى ؟

- إننى أتوق لذلك .

- إذن تعالى لنجلس معاً فى الشرفة ، وسوف تأتى لنا

أم (إبراهيم) بالشاى .

ألقت (يسرا) نظرة حولها .. وهى تبحث عن

(سامح) .. لكنها لم تعثر له على أثر .. وتساءلت قائلة

لنفسها :

- ترى أين ذهب ؟ ولماذا كان يبدو متجهماً على هذا

النحو صباح اليوم ؟

دعاها الحاج (عبد الفضيل) للجلوس فى موقع يطل

على الحديقة ، التى يفوح شذاً عبيرها فى أرجاء المكان .

وأحست (يسرا) بانتعاش وراحة إزاء هذا المشهد

الجميل والعبير الفواح .

قالت وهى تحت تأثير سحر المكان :

- يا له من مشهد رائع !

ابتسم الأب قائلاً :

- إنه مكانى المفضل .. فهذا أفضل مكان فى الحديقة

المحيطة بالمنزل .

- كيف تفرط في مكان رائع كهذا ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- أفرط فيه .. ماذا تعنين ؟

- لقد سمعت من (نجوى) أنك ترغب في بيع

المزرعة .

تنهد الأب وهو يتراجع في مقعده قائلاً بتأثر :

- لو كان الأمر بيدي لما فكرت في مثل هذا الأمر .. لكن

المزرعة تنذر بخسائر لا قبل لي بتحملها .

فقيمة المحصول تقل .. والآفات توشك أن تفتك

بالبرتقال واليوسفي ، كما أن الأمراض تهدد الماشية هنا .

و (سامح) يشجع فكرة بيع المزرعة ، وإقامة مشروع

تجارى يقول : إنه سيحقق عائداً مادياً مربحاً .

- لو كان الأمر يعنى بالنسبة لك أرباحاً مادية فقط ..

فمما لاشك فيه أن المشاريع التجارية المربحة كثيرة .

لكنى لا أظن أن مزرعة كهذه يمكن أن تحقق خسائر ..

خاصة بعد كل ما شاهدته فيها .

فضلاً عن الارتباط بالمكان .. وأظن أن حضرتك

و(نجوى) مرتبطان بهذا المكان ارتباطاً عاطفياً قوياً

حسب ما أرى .

- نعم .. لكن (سامح) يفضل الحياة بصفة دائمة في

القاهرة عن الإقامة هنا .. أما عن الخسائر فهى متوقعة

كما قلت لك بسبب تناقص إنتاجية المحصول ، والآفات التى

تهاجم الموالح هنا .. فضلاً عن أمراض الماشية التى

كادت تتحول فى العام الماضى إلى أمراض وبائية لولا

استعانتى بالأطباء البيطريين .

- هذه أشياء يمكن التغلب عليها .. فكما قلت : فإنه

بالاستعانة بالأطباء البيطريين والمهندسين الزراعيين

يمكن التصدى لمثل هذه الخسائر ، ومنعها من الوقوع .

- لقد استعنت بالمهندسين الزراعيين .. فضلاً عن

مساهمة (سامح) فى علاج هذه الآفات .. لكنهم لم

يحرزوا نجاحاً كبيراً .. ويبدو أن الأرض هنا لم تعد صالحة

كما كانت من قبل .. كما تحدثوا عن بعض الأمراض التى

تصيب أشجار البرتقال على نحو يهدد المحاصيل كل عام

عن ذى قبل .

وصمت برهة وهو يقول بأسى :

- إننى أحب هذا المكان ، ولا أستطيع أن أنكر أننى لن

أكون سعيداً لو غادرته .. لكننى أيضاً لا أريد أن أخسر

أموالى بسبب التمسك بهذه المزرعة والارتباط بها عاطفياً .

سألته (يسرا) قائلة :

- وإذا استطعت التصدي للآفات المنتشرة في هذه المحاصيل وتحقيق إنتاجية عالية لموالمح هذا العام ؟

قال لها متشككا :

- هل تستطيعين هذا حقا ؟

- نعم .

ابتسم قائلا :

- إنك تتحدثين بلهجة واثقة .

- لقد فحصت بعض أشجار البرتقال واليوسفي هنا واكتشفت نوع الآفات التي تهددها .. وأظننى أستطيع معالجتها قبل أن تبدأ الثمار فى النضج .

- ولكن يا بنيتى .. لقد أكد لى (سامح) أن مقاومة الآفات لن تحقق نجاحا فعلا بعد أن تمكنت من الأشجار بصورة وبائية .. وهذا ما أكده لى مهندسون زراعيون أكفاء أيضا .

- إننى لا أدرى كيف أكدوا لك ذلك .. فتلك الآفات يسهل مقاومتها ولم تتحول إلى خطر حقيقى يهدد المحاصيل .. وأنا لى العلاج الناجع لذلك .
- هل أنت واثقة من ذلك ؟

ابتسمت قائلة :

- لا تنس أننى متخصصة فى زراعة الموالمح .. فضلا عن عملى فى قسم البحوث الزراعية فى وزارة الزراعة .. وهو ما يعنى أن العديد من الأبحاث والتجارب الخاصة بمقاومة الآفات الزراعية قد شاركت فيها .
وعلى كل حال يمكنك أن تجربتى .

- لو استطعت تحقيق ذلك فإنك ستكونين قد حققت لى خدمة لن أنساها طوال حياتى .

- وفى هذه الحالة لن تبيع المزرعة .

" - بالطبع .

- هل لديك عدد كاف من العمال الزراعيين وأجهزة للرش هنا ؟

- لى عدد لا بأس به .. وعلى كل حال يمكنك أن تحددى العدد الذى تحتاجينه ، وسأوفره لك على الفور .
- وسأحتاج بعض المواد الكيماوية الخاصة بالزراعة أيضا .

- قلت لك .. حددى ما تريدينه وسوف أحضره لك على الفور .

وأردف قائلا :

- لكن .. كم من الوقت يلزمك لتنفيذ هذا ؟

- أعتقد أنني سأحتاج إلى البقاء هنا أربعة أيام أخرى .

- وهل هذه الفترة كافية ؟

- إنها كافية تمامًا .

- رغم أنني غير مقتنع تمامًا بهذا الشأن .. إلا أن تلك

الثقة ، وذلك العزم الذي أراه في عينيك يدفعني إلى التفاؤل .

- يمكنك أن تعتمد علي .

- ونهضت قائلة :

- والآن .. هل تسمح لي أن أضعك إلى غرفتي لتبديل

ثيابي ؟

أجابها قائلاً :

- بالطبع يا بنيتي .. تفضلي .

- سأحتاج إلى أن أجرى اتصالاً تليفونياً .. لكي أطمئن

والدتي وأخبرها بشأن إقامتي هنا .

- إن الهاتف تحت أمرك .. ويمكنك أن تعتبري نفسك

في منزلك وأن تتصرفي كيفما تشائين .

وفي تلك اللحظة كان (سامح) قادماً إلى الشرفة ،

عندما صادفها أثناء انصرافها وهي تتحدث إلى أبيه .

وسألها قائلاً بوجه جامد الملامح :

***** ١٠٢ *****

- هل أعجبك المزعة ؟

- أعجبتني للغاية .. حتى إنني قد أبقى بها بضعة أيام

أخرى .

قال لها (سامح) بتلقائية وانزعاج :

- ماذا ؟

قالت له بخبت :

- أرجو ألا يزعجك هذا .

قال لها ببرود :

- يزعجني .. أبداً .. ولكنني كنت أظن أنك تتعجلين

العودة .

وتابعها وهي تتصرف .. ثم تحدث إلى أبيه قائلاً :

- هل تنوى هذه الفتاة البقاء لدينا بضعة أيام أخرى ؟

أجاب الأب قائلاً :

- نعم .

- ولكن .. لماذا ؟

- (سامح) .. ما الذي دهاك ؟ لماذا تبدو متزعجاً بشأن

بقاء هذه الفتاة في ضيافتنا ؟

- فتاة التقطتها من الطريق بالأمس .. ولا نعرف عنها

شيئاً سوى أنها كانت في زيارة زميل لها في الكلية .. ومع

***** ١٠٣ *****

قال له (سامح) وقد هدأت حدته قليلاً :
- بالطبع يا أبى .. وأعتقد أنني أنا الذى أخطأت
بإحضارها إلى هنا .
- مازلت لا أفهم سر قلقك من وجود هذه الفتاة فى
منزلنا .

- إننى قد قمت بواجبى نحوها بالأمس .. وكان ظنى أن
الأمر سينقضى بانقضاء تلك الليلة التى قضتها فى منزلنا ..
لكن ما دمت تصر على استضافتها بضعة أيام أخرى .. فلا
بأس ما دامت هذه هى رغبتك .
- إن الأمر لا يقتصر على الضيافة .. بل لدى سبب آخر
جعلنى أطلب من الفتاة البقاء فى ضيافتنا .
- وما هو ؟

- لقد أخبرتتى .. أنها تستطيع التصدى للآفات التى
أصابت أشجار البرتقال واليوسفى .. وإعادة المحاصيل
إلى ما كانت عليه من إنتاجية عالية .
قال له (سامح) وفى صوته نبرة غاضبة :
- هى قالت لك ذلك ؟
- نعم .
- وهل صدقتها ؟

ذلك نسمح لها بالإقامة فى منزلنا لعدة أيام بلا مبرر
حقيقى .. وأسمعك تقول لها : إنها تستطيع أن تعتبر نفسها
فى منزلها وأن تتصرف كما يحلو لها .. ألا ترى فى ذلك
ما يستوجب الانزعاج ؟

وفى تلك اللحظة دخلت عليهما (يسرا) الشرفة قائلة :
- معذرة .. لقد نسيت نظارتى الشمسية .
وناولها الأب النظارة قائلاً لها بحرج :
- آه .. ها هى ذى ..

وتناولتها وهى تلقى نظرة سريعة على (سامح) الذى
أدار لها ظهره وهو يطلق زفرة قصيرة .. ثم سارعت
بمغادرة الشرفة بخطوات متسارعة .

وقال الأب لابنه بغضب بعد انصرافها :
- أرجو ألا تكون قد سمعت ما قلته الآن .
قال له (سامح) بانفعال :
- فلتسمع .. هذا منزلنا .. ولنا أن نقول فيه ما نشاء .
قال له الأب وقد ازداد غضبه :

- إنه منزلى أنا .. قبل أن يكون منزل أى شخص آخر ..
ولى أن أستضيف فيه من أشاء .. ويتعين على الجميع هنا
احترام ضيفى .

- أنها تبدو واثقة من نجاحها فى ذلك .

- ولكنى أكدت لك .. كما أكد لك عدد من المهندسين الزراعيين الأكفاء عدم جدوى ذلك .. لقد أصبحت هذه الأشجار مريضة بالفعل .

- ومع ذلك فهى تؤكد أنها تستطيع علاجها .

- لماذا تبدو واثقا فى رأيها هكذا ؟

- لا أدرى .. لكننى أشعر بالفعل بالثقة فى هذه الفتاة ..

وأنها قادرة على النهوض بهذه المزرعة مرة أخرى .

- أبى .. لقد انتهينا من مناقشة أمر هذه المزرعة ..

واتفقتنا على بيعها .

- إننى أتمنى لو لم أضطر إلى ذلك .

قال له (سامح) بانفعال :

- ما الذى يعجبك فى هذا المكان الممل ؟. الذى ننام

فيه ، نصحو فيه ، لا جديد .. ولا شيء سوى هذه الحياة

الرتيبة التى تصيب الإنسان بالسأم .

- إن هذا المكان الذى نتحدث عنه كافحت للحفاظ

عليه .. وبفضله تربيت أنت، وأختك أفضل تربية .

إن كل طوية هنا لها مكانتها لدى .. انظر إلى هذه

الحديقة الرائعة .. ألا تشعر بشيء من الارتباط بها ؟ .. ألم

***** ١٠٦ *****

تساهم بنفسك فى زراعتها وتحويلها إلى تلك الصورة
البهيجة ؟

إننى أحب هذه المزرعة يابنى .. وأتمنى أن أموت
فيها .

- أبى .. إنك تتحدث بطريقة عاطفية .. وتتمسك بأشياء
لا معنى لها .. أما أنا فأحدثك بأسلوب عملى .

لقد أحضرت لك مشتريا سيدفع لك ثمنا مجزيا للغاية

لقاء هذه المزرعة وأعدك بمشروع تجارى ناجح سيجلب

علينا أرباحا طائلة .. والأمر لا يحتاج منك إلى كل هذا

التردد .. أو الاتصياح وراء ميول عاطفية لا معنى لها .

- تلك الأشياء التى أصبحت تراها بلا معنى تعنى لى

الكثير .

دق (سامح) بيده على المائدة قائلا :

- كل ذلك بسبب هذه الفتاة اللعينة .

- بل لأننى لا أريد أن أتخلى عن هذه المزرعة حقاً ..

وقد فتحت لى هذه الفتاة باب الأمل لذلك .

ومع ذلك .. فإننى أعدك .. لو لم تنجح محاولتها فى

علاج أشجار الموالح .. فإنى سأبيع المزرعة .. وأحقق

لك رغبتك .

★ ★ ★

***** ١٠٧ *****

٨ - لن أراجع ..

كانت (يسرا) غاضبة للغاية .. فقد سمعت ما قاله (سامح) لأبيه، وعرفت أنه لا يرغب في وجودها بالمزرعة .

ودفعها كبرياؤها إلى أن تعد حقيبتها، استعدادا للسفر ومغادرة المكان ، لكنها فكرت في وعدها لذلك الأب الطيب الذى منحها ثقته .. والذى يرغب فى الاحتفاظ بمزرعته والبقاء فيها حتى الموت .

كما فكرت أن التصدى للآفات التى أصابت أشجار الموالح يمثل تحدياً لها ولكل ما درسته وتعلمته .. وهى تميل لذلك النوع من التحديات .. مما دعاها إلى التراجع عن قرارها بمغادرة المزرعة فى الحال .. ورأت أن نجاحها فى تنفيذ وعدها للحاج (عبد الفضيل) سيكون أفضل رد على ما قاله (سامح) لأبيه .

وقالت لنفسها بتحد :

- نعم .. على أن أبقى هذه الأيام الأربعة ، لأحقق ما وعدت به ، وأن أنحى كبريائى جانبا .

لكنها لم تستطيع أن تقاوم غضبها وهى تقول لنفسها :
- ولكن .. لماذا لا يرحب بيقانى هنا ؟ وكيف سمح
لنفسه أن يقول لأبيه عنى ما قاله ؟

لقد كان بالأمس إنسانا شهما نبيلاً وحنوناً .. أحاطنى
برعايته ، ووفر لى مكانا آمنا ألجا إليه فى وقت كنت فيه
كالتائهة .

وخفف من قسوة الآسى النفسية فى لحظة كنت أحوج
ما فيها إلى ذلك .. فما الذى بدله على هذا النحو ؟
ولماذا يفسد تلك الصورة الجميلة التى رسمتها له
بالأمس ؟

وعادت لتقول لنفسها :

- وما الذى كنت تنتظرينه منه أكثر مما فعله معك الليلة
الماضية ؟ لقد تصرف بالفعل كرجل شهيم يساعد فتاة
تتعرض لضائقة .. وانتهى الأمر معك إلى هذا الحد ..
وأنت لا تعنين له أكثر من فتاة مد لها يد المساعدة ..
ولا ينبغى أن يكون مسنولاً بأكثر من ذلك وهذا واضح من
تصرفه وكلماته .

واستمرت فى حوارها مع نفسها قائلة :

- ولكنى كنت أظن أننى ربما أكون قد تركت فى نفسى

أثرا أكثر من ذلك .. خاصة وهو يصفني بأننى فتاة جميلة
فى السيارة .

وابتسمت لنفسها بسخرية قانلة :

- لقد كنت تظنين وقتها أن له أغراضا أخرى من وراء
ذلك .. وكنت غاضبة من أجل ذلك ، وها أنت ذى غاضبة
الآن ، لأن هذه الكلمة كانت بلا معنى حقيقى .
نعم .. ربما كانت مجرد مجاملة .. لا أكثر .

وعادت لتقول لنفسها :

- لقد ظننت أننى رأيت فى عينيه شيئا من الإعجاب .
لكن شخصا مثله لا يبد أنه أعجب بالكثيرات من قبل دون
أن يتولد عن ذلك شيء ما .. ودون أن يضطر لاستضافتهن
فى منزله .

وقالت لنفسها بأسى :

- يؤسفنى أن يكون هذا هو شعوره نحوى .. مع أننى ..
كنت قد بدأت أحمل له بعض المشاعر .. وأرى فيه .. أرى
فيه ...

لكنها سرعان ما تراجعت عما قالته .. محذرة :

- ما الذى تريئه فيه ؟ .. وأية مشاعر تلك التى تتحدثين
عنها ؟ إياك أن تنزلقى إلى هذا الشيء مرة أخرى .. وأن

***** ١١٠ *****

تستسلمى لأية مشاعر .. كفى ما حدث من قبل .. إنك لم
تبرنى من صدمتك فى (صلاح) بعد .

وأكدت على ذلك قانلة لنفسها :

- نعم .. يتعين على أن أتوقف عن التفكير فى أى
شخص على هذا النحو مرة أخرى .. وألا أدع نفسى تستسلم
لأية مشاعر عاطفية .. إننى سأبقى هنا ؛ لأنفذ ما وعدت
به الحاج (عبد الفضيل) .. ويعدها سأغادر المكان ..
وبذلك أكون قد رددت له ولايته الجميل الذى قدماه لى .

كما أن هذا الأمر سيسغلى ويستحوذ على اهتمامى
الوقت الذى أحتاجه ، لكى أتخلص من تجربتى القاسية مع
(صلاح) .

وغادرت حجرتها وهى سعيدة ؛ لأنها اتخذت هذا
القرار ..

سارت (يسرا) فى الحديقة المحيطة بالمنزل ، وهى
تفحص بعض أنواع الزهور التى تزخر بها .. عندما رآته
واقفا أمامها .. تراجعت خطوتين إلى الوراء من أثر
المفاجأة .

تأملها بنظرة ثابتة قانلة :

- هل أفزعتك ؟

***** ١١١ *****

أجابته قائلة :

- كلا .. لكنك فاجأتني .. فلم أتوقع أن أراك واقفاً أمامي
فجأة هكذا .

- أنا أيضاً فوجئت بوجودك .. فقد كنت ألقى نظرة على
هذه الشجرة عندما لمحتك .

وصمت برهة دون أن يرفع عينيه عن وجهها على نحو
أربكها .. قبل أن يقول :

- إن هذه النظرة الفزعة التي رأيتها في عينيك الآن
تذكرني بالليلية الماضية عندما كنت تتوجسين مني خيفة .

- لقد كنت مخطنة في مخاوفي .. وقد اعتذرت لك عن
ذلك .

قال لها بجفاء :

- نعم .. أعلم ذلك .. هل أعجبك المكان هنا ؟

- إنني شديدة الإعجاب به .. فهو مكان رائع .

قال لها وهو يخطو منتقلاً في أرجاء الحديقة :

- أما أنا فلا أراه كذلك .

قالت (يسرا) وهي تسير بجواره :

- لماذا؟ .. مع أن كل ما فيه يغرى بالإعجاب به ؟

- إنني لا أدري ما هذا الذي يغرى بالإعجاب؟ .. حظيرة

***** ١١٢ *****

المواشى المريضة .. أم مزرعة الدواجن التي فتكت بها
الأمراض في العام الماضي ؟. أم محاصيل الموالح التي
تتناقص إنتاجيتها عاماً بعد آخر ؟ فضلاً عن هذه القرية
المحيطة بنا .. والتي لا يتوافر فيها أى مجال للترفيه أو
مظاهر الحياة الحديثة .

- إنني مندهشة أن أسمع ذلك من مهندس زراعى .

- الشهادة الدراسية شيء .. والحياة العملية شيء آخر .

- فمن الممكن دائماً أن نطبق ما تعلمناه على حياتنا

العملية .

- هذا إذا كنا سنجنى من وراء ذلك نجاحاً عملياً .

- تقصد نجاحاً مادياً .

- إن النجاح العملى مرتبط دائماً بنجاح مادی .. هل

سمعت عن مشروع ناجح يحقق خسائر مادية ؟

- بل سمعت عن مشروع يمكن أن يكون ناجحاً لكننا

لأنحسن استغلاله أو العناية به .. ثم ندعى بعد ذلك أنه

يحقق خسائر ، وأنه مشروع ينذر بالفشل .

- تقصدین هذه المزرعة ؟

- نعم .

- هذا يعيدنا إلى ما أردت أن أتحدث إليك بشأنه ..

***** ١١٣ *****

والذى دعانى إلى فتح هذا الحوار معك .. ما الذى تهدفين إليه من وراء بقائك هنا ؟

- ألا تريدنى أن أبقى فى ضيافتكم بضعة أيام أخرى ؟

- أنت تفهمين مغزى سؤالى .

- لا بد أن والدك قد أخبرك .

- هل تتوين حقًا معالجة أشجار الموالح ؟

- تمامًا .

- ولكن هذه الأشجار قد تمكنت منها الآفات .. وثمارها

تتناقص عامًا بعد آخر ، حتى إن البعض منها توقف عن طرح الثمار بالفعل .

- ولكنى قادرة على معالجة هذا الأشجار وإعادتها إلى

ما كانت عليه فى البداية .

قال (سامح) بضيق :

- وما الذى يجعلك واثقة من هذا ؟

- لقد فحصتها عن قرب .. ووجدت أننى أستطيع

مقاومة هذه الآفات .

- لكننى فحصتها قبلك ، ووجدت أن هذا مستحيل .

قالت له (يسرا) بثقة :

- إنها وجهات نظر يا باشمهندس .. ولا تنس أننى

***** ١١٤ *****

متخصصة فى الموالح .: ويحكم عملى فى مذكر البحوث الزراعية .. فإننى قمت بإجراء تجارب عديدة بشأن مقاومة هذا النوع من الآفات .

- وماذا عن غيرى من المهندسين الزراعيين الآخرين

الذين فحصوا هذه الأشجار ؟ .. إنهم خبراء فى الموالح

أيضًا .. وقد أقروا بعدم فاعلية المقاومة الآن فى هذه

المرحلة المتأخرة .

- برغم أنه يدهشنى ذلك .. فعلى الأقل أستطيع أن

أحصل على فرصة ؛ لتنفيذ خطتى بشأن علاج هذه

الأشجار .. فهذا لن يكلف شيئًا سوى إتاحة الفرصة لتقديم

خبرتى بهذا الشأن .

قال لها (سامح) بعد نفاذ صبر :

- بل سيكلف .. يكلف آلات رش .. ومواد كيميائية ..

وعمالًا زراعيين . وكل ذلك بلا طائل ولا وجودى .

- لا يمكنك أن تحكم .. قبل أن ترى النتائج يا باشمهندس .

قال لها (سامح) بعصبية :

- هل ترين نفسك دائمًا أفضل من الآخرين ؟

- بل أعرف قدرات نفسى تمامًا .

- هذا ليس سوى غرور من جانبك .

***** ١١٥ *****

- أشكرك على أن هذا هو تقديرك لى .. ولكن قل لى ..
لماذا تبدى هذه الرغبة الشديدة فى بيع المزرعة ؟

- هذا ليس من شأنك .

- بل من شأنى .. ما دام أبوك قد أوكل لى مهمة العناية
بمحاصيل الموالج ، وأوضح لى بجلاء أننى لو نجحت فى
مهمتى ، فإنه لن يتنازل عن هذه المزرعة بأى حال من
الأحوال .

قال لها (سامح) بعد برهة من التفكير :

- وإذا أخبرتك بأننى أريده أن يبيع المزرعة ..
ولا أرغب فى احتفاظه بها .
- لماذا ؟

- للأسباب التى ذكرتها لك من قبل .. ولرغبتى فى
إقامة مشروع تجارى بالمال الذى سنحصل عليه من
بيعها .. أتولى إدارته ونؤمن عن طريقه ربحاً مادياً مجزياً
كل عام .

- وهل أنت واثق من نجاح هذا المشروع ؟ ومن أنه
سيدر عليك ربحاً مجزياً كل عام .

- بالطبع ؟

- ومن أجل هذا أوعزت إلى أبوك أن أشجار الموالج لن

تجدى معها وسائل العلاج الزراعية .. وأوعزت إلى
زملائك من المهندسين الزراعيين أن يخبروه بذلك أيضاً ..
حتى تشجعه على بيع المزرعة .

نظر إليها (سامح) بدهشة قائلاً :

- ما هذا الذى تقولينه ؟

- أليست هذه هى الحقيقة ؟

قال لها بانفعال :

- إنك تتجاوزين حدودك و ...

قاطعتة قائلة :

- لقد طلبت منى أن أساعدك على اقتناع أبوك ببيع

المزرعة .. إذن يتعين عليك أن تكون صريحاً معى .. وأن

تخبرنى عما إذا كان ما قلته حقيقياً أم لا .

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

- حسن .. إنه حقيقى .. إن أبى شخص عنيد وهو

شديد التعلق بهذه المزرعة .. لذا كان يتعين إقناعه ببيعها

بأية وسيلة .

- بأن تغشه ؟

قال لها مستنكراً الكلمة :

- أغشه ؟. كيف تسمحين لنفسك بأن تقولى ذلك ؟

- وهل توجد تسمية أخرى لما فعلته غير ذلك ؟
- لكن الآفات موجودة بالفعل .

- نعم .. ولكن يمكن مقاومتها .. لا تركها تأتي على المحصول ، لكي تحقق هدفك من بيع المزرعة .. إنك تساهم في القضاء على هذه الثمار .. القضاء على نعمة منحها لنا ربنا .

قال لها وهو يتلفت حوله في قلق :

- هل يمكنك أن تخفضى صوتك ؟

ثم استطرد قائلاً :

- اسمعنى جيدا .. إن هذه المزرعة ستباع لمشتري سيحسن استغلالها والعناية بها .. وهو سيدفع ثمنا مناسباً للغاية .. نحن بحاجة للمبلغ الذى سيدفعه ؛ لكي نقيم هذا المشروع الذى حدثتكَ عنه .

- أنت وحدك الذى تسعى وراء هذا المشروع ..

أما والدك وأختك فلا يريدانه .. بل يريدان هذه المزرعة .
صاح فيها قائلاً :

- هذا ليس من شأنك .

ثم تذكر أنه يتعين عليه أن يخفض صوتَه .. فسألها قائلاً :

- لماذا تتدخلين فيما لا يعينك ؟

- لأننى أكره أن أراك تغش أباك ، وتحرمه من هذا المكان الذى يحبه .

- إننى لا أريده أن يضيع حياته وجهده فى هذا المكان .. أريده أن يربح وأن تربح معه .. هل تفهمين ؟ .. هذا لم يعد عصر الزراعة ومحاصيل البرتقال واليوسفى . إن الأرباح تأتي اليوم من المشاريع التجارية .

- والخسائر الكبيرة تأتي أيضا من وراء المشاريع التجارية لمن لا يفهمون فيها .

قال لها (سامح) بضيق :

- هأنذى تتدخلين مرة أخرى فيما لا يعينك ، وعلى كل حال أنت لا ترضين لنا الخسارة .. إن هذه المزرعة ستبدد أموال أبى بلا طائل . وفى النهاية سيضطر لبيعها بأقل من المبلغ المعروض علينا الآن بعد أن تقل قيمتها عما هى عليه الآن .

- لن تقل قيمتها .. بل ستزداد مع ازدياد إنتاج محصول الموالح هنا .

- هل تظنين أن الأمر يتعلق بمحصول الموالح فقط ؟ وماذا عن الماشية والدواجن ؟

- كل تلك الأشياء يمكن العناية بها بوساطة الأطباء
البيطريين والمتخصصين .

قال لها بحق :

- كان من الخطأ أن آتى بك إلى هنا .

- ربما أرسلتني العناية الإلهية إلى هنا .. لكى أساعد

ذلك الرجل الطيب الذى هو أبوك على الاحتفاظ بمزرعته .

- حسن .. كم تأخذين ؛ لترحلى عن هذا المكان فى

الحال ؟

نظرت إليه نظرة تنم عن الاشمزاز قائلة :

- لقد بدأت بالغش .. وهأنذا تعرض على الآن رشوة .

ترى ما الذى ستقودك إليه أطماعك أكثر من هذا ؟

قال لها بأنفعال :

- اسمعى أيتها الفتاة .. لقد بدأت أضييق بك ذرعاً ..

إننى آمرك بأن تغادري هذا المنزل فى الحال .

صمتت (يسرا) برهة قبل أن تقول له :

- عفواً .. لكنك لا تملك الحق فى ذلك .

قال لها بدهشة :

- لا أملك الحق فى ذلك ؟. إننى صاحب هذه المزرعة .

قالت له بهدوء :

- بل والدك هو صاحبها .. وإذا أراد هو منى أن
أغادرها فسوف أفعل .

ثم تركته وانصرفت ، ولكنه لحق بها ؛ ليعترض طريقها
قائلاً :

- لا تجبرينى على أن أتعامل معك بأسلوب غير لائق .

قالت له بنفس النبرة الهادئة :

- إذا لم تتبعد عن طريقى الآن .. فسوف أخبر الجميع
بأنك قد ضللت والدك بشأن أشجار الموالح .

صاح فيها قائلاً :

- هل تهددينى ؟

ثم رفع يده عالياً وهو يهم بصفعها .. لكنها نظرت إليه
بثبات قائلة :

- هل تريد أن تصفعنى ؟ .. هيا افعل ! .

ولم يجرؤ على أن يفعل .. بل خفض يده بجانبه .

بينما قالت له :

- بقدر ما احترمتك بالأمس .. بقدر ما سقطت من

نظرى الآن .

ثم تركته وواصلت طريقها نحو المنزل .. وهو فى أشد

حالات الاتفعال .. والأسى ..

★ ★ ★

***** ١٢٠ *****

***** ١٢١ *****

تحول انفعاله إلى إحساس بالندم .. فقد أحس بأنه أخطأ خطأ كبيراً حينما تهور وهم بأن يصفعها على هذا النحو .
لقد كان هذا جرئاً بالغاً لشعورها ، يتعين عليها أن تكرهه من أجله ..

وقال لنفسه محاولاً أن يخفف من إحساسه بالندم :
- لكنها .. هي التي دفعتني إلى ذلك .. إنها تتصرف كما لو كانت تمتلك هذا المكان .

لقد أثارت حنقى إلى حد دفعنى لأن أعاملها بهذه الغلظة .. خاصة عندما اتهمتني بالغش .. وأنى قد ضللت أبى من أجل بيع المزرعة .
وعاد ليقول لنفسه :

- ولكن .. أليست هذه هي الحقيقة ؟ ألم تضلل أباك بالفعل ، وتوهمه بأنه لاجدوى من علاج أشجار الموالح ؟ . وأن المزرعة في طريقها لإحراز خسائر كبيرة لو لم يعجل ببيعها ؟ . من أجل ذلك المشروع التجارى الذى تسعى لتنفيذه .

واستمر فى محاورته لنفسه ؛ محاولاً تخفيف الوطء على ضميره وهو يقول :

- لقد كان هدفى هو تحقيق المصلحة العامة .. فذلك المشروع كان سيعود بالخير على أفراد الأسرة جميعاً .
وتنهذ قائلاً :

- لكن هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً .. فالحقيقة هي أنك خدعت أباك وأختك ، وحاولت أن تبرر لهما حتمية بيع المزرعة ، وضرورة التخلص منها قبل أن تلحق بها خسارة كبرى ، وأنت تعرف مدى تعلقهما بها وحبهما لهذا المكان .

وقد فعلت هذا من أجل أنانيتك وحبك لذاتك .
وحاول أن يسكت صوت ضميره مرة أخرى وهو يقول
لنفسه :

- إن الغاية تبرر الوسيلة .. وأنا لم أكن لألحق بهما أذى .. بل سعيت لتأمين مستقبلنا .

وعندما يبدأ هذا المشروع فى تحقيق أرباحه فى المستقبل سيعرف كل منهما ذلك .. وسيريان أننى كنت محقاً فى إصرارى على بيع المزرعة .

وعاوده الغضب مرة أخرى وهو يقول :

- ولكن هذه الفتاة .. لولا تدخلها .. لقد بدأ رأس أبي
يلين وهي تسعى لإفساد كل شيء الآن .

لا بد من منعها من الاستمرار في التدخل في هذا
الأمر .. والحيلولة بينها وبين إظهار براعتها التي
تدعيها ؛ لإتقان محاصيل الموالح .

ولكن كيف يتسنى لى تحقيق ذلك ؟

وهده تفكيره إلى القول :

- اللباقة .. ومحاولة التأثير على مشاعرها .

نعم .. لقد عاملتها بخشونة وحماقة .. وليس هذا هو

الأسلوب الأمثل للتعامل مع فتاة مثلها .

ولكن ربما لو أظهرت لها بعض المشاعر الرقيقة ..

وعاملتها بأسلوب أكثر نعومة .

ربما أدى ذلك إلى التأثير عليها وضمها لصفى .

قامت (يسرا) بجهد شاق في اليوم التالي وهي تشرف
على العمال الزراعيين وتساعدهم في رش أشجار البرتقال
والبيوسفى ، بالمحاليل الكيماوية المقاومة للآفات .

كان العرق يتصبب منها غزيراً وهي تنتقل من شجرة
إلى أخرى ، وترشد المزارعين إلى الطريقة المثلى

للرش .. ثم تعمل على أخذ عينات من ثمار الأشجار
لفحصها فيما بعد .

وعلى مسافة غير بعيدة وقف الحاج (عبد الفضيل)
يرقبها بإعجاب ، وهي تعمل بهذا الجد والنشاط ، حينما
اقتربت منه ابنته لتتطلع إلى (يسرا) وفي عينيها نظرة
إعجاب مماثلة ، قائلة له بخبث وشقاوة :

- ما هذا يا حاج (عبد الفضيل) .. لم أكن أعرف أنك

واقف هنا ترقب هذه الفتاة الجميلة خلسة .

قال لها الأب بجدية مصطنعة !

- تأدبى يا بنت .

ثم أردف قائلاً :

- إن هذه الفتاة تملك عزيمة قوية للغاية .

- إنها تدخل القلب منذ الوهلة الأولى .

- ولكن .. هل تظنن أنها ستنجح فيما وعدت به ؟

- إننى أرى أنها تبذل أقصى جهدها من أجل ذلك .

- ومع ذلك فإن أخاك لا يرحب بوجودها .

- لأنه يخشى أن تنجح فى مساعدتنا على الاحتفاظ

بالمزرعة .

- نعم .. إننى أدرك ذلك .. وأتمنى ألا تضطر إلى بيعها

بالفعل .

وأنا أيضًا .. إننى ذاهبة إلى (يسرا) .

لكن الأب أمسك بذراعها ليستوقفها قائلاً :

- تعالى هنا .. لا تعطليها عن عملها .

- لكننا لم نلتق منذ الصباح .

- حسن .. ولكن خمس دقائق فقط .. فأنا أعرفك

جيدًا .. ثرثارة وشقية .

رفعت (نجوى) يدها أمام صدرها قائلة :

- أعدك بذلك .. خمس دقائق فقط .

واندفعت وسط حديقة البرتقال ، وهى تلوح لـ (يسرا)

التي ابتسمت لها وهى تلوح بدورها .

واقتربت منها قائلة :

- ماكل هذا النشاط والحيوية ؟

- يتعين على أن أنتهى من هذا الجزء من الحديقة اليوم .

- ولكن هل سيأتى هذا على حساب الوقت الذى نمضيه

معًا ؟

إننى أفتقدك كثيرًا .

ابتسمت (يسرا) قائلة :

- وأنا أيضًا .. على كل حال أمامى ثلاث ساعات أخرى

وبعدها سنلتقى معًا ، ونحدث كيفما تشائين .

***** ١٢٦ *****

- مازال أمامك ثلاث ساعات .. وبالطبع ستكونين

بعدها مرهقة وبحاجة للراحة والنوم .

- إننى أبذل ما بوسعى من أجل العناية بمحصول هذا

العام .. إن هذا سيضمن لك الاحتفاظ بالمزرعة التى

تحبينها .. ألا ترين أن هذا يستحق أن أبذل من أجله كل هذا

الجهد ؟

واحتضنتها (نجوى) فى مودة حقيقية قائلة :

- يا حبيبتى يا (يسرا) .. إننى لم أعد أرغب فقط فى

الإبقاء على هذه المزرعة ..

ولكنى أريدك أن تبقى معنا فيها .

لا أدرى .. لماذا أشعر وكأننا صديقتان قديمتان برغم

أننا لم نتعارف إلا من فترة وجيزة ؟

- هذا نفس إحساسى يا (نجوى) .

- إذن .. ماذا لو فكرت فى البقاء معنا هنا لولم تباع

المزرعة ؟

ابتسمت (يسرا) قائلة :

- لا أعتقد أننى أستطيع ذلك .

- لماذا ؟ إذا نجحت فى زيادة إنتاجية المحصول ..

ستكونين أفضل شخص يمكنه تولى شئون هذه المزرعة

***** ١٢٧ *****

والعناية بحدائق الموالح . وسوف أضمن لك أن يمنحك
أبى أجزا جيدا .. وإجازة يومين فى الأسبوع .. كما أن
المسافة قصيرة بين المزرعة والقاهرة ، وستخصص لك
سيارة .

اتسعت ابتسامتها وهى تقول لها :

- ولكنى أفضل الاستمرار فى عملى الذى عينت به .

مطت (نجوى) شفيتها قائلة :

- خسارة !

- اطمئنى .. إن هذا لن يؤثر على صداقتنا فى شىء ..

فسوف يمكننا دائما أن نراسل ونتحدث هاتفيا .. كما أننى

سأتى لزيارتك وتأتين لزيارتى .. فالصلة بيننا ستظل

قائمة .

- وما أخبار (سامح) معك ؟

اضطربت (يسرا) قائلة :

- ماذا تعنين بذلك ؟

- أما زال متحفظا بالنسبة لك ؟

- وماذا تعنين بكلمة متحفظ هذه ؟

- ألم يحاول أن يضايقك ؟

قالت (يسرا) وهى تخفى حزنها :

- نعم .. لم يضايقنى ..

- ولم يحاول أن يغازلك ؟

نظرت إليها (يسرا) باستنكار قائلة :

- (نجوى) !

قالت (نجوى) بشقاوة :

- حسن .. لقد كنت أتساءل فقط .. على كل حال

سيكون أعمق لو حاول مضايقتك .. وسيكون أكثر حماقة

لو لم يفعل

نظرت إليها (يسرا) شذرا وهى تقول :

- أحيانا تقولين كلمات تثير حنقى عليك .

- أنا آسفة .. سأتركك الآن .. فهل ترين ذلك الرجل

الواقف هناك يتأملك ؟

وأشارت إلى أبيها وهى تردف قائلة :

- إنه شديد الإعجاب بك .. وقد وعدته ألا أنقل عليك ..

لذا فأنا مضطرة أن أتركك الآن لأفى بوعدى .

وابتعدت عنها قليلا .. ثم استدركت قائلة فى مرح :

- على فكرة .. لو لم يستعد أخى بصره ؛ ليرى تلك

الفتاة الجميلة التى نزلت فى ضيافتنا .. ويسعى لخطب

ودها ؛ فربما سبقه أبى إلى ذلك .

***** ١٢٩ *****

***** ١٢٨ *****

وهمت (يسرا) بأن تضربها .. لكنها سارعت بالابتعاد .
وعادت لترقب المزارعين أثناء استعمالهم لما كانت
الرش ، وقد بدت هذه المرة عاجزة عن التركيز فيما
يقومون به من عمل .

كانت ساهمة وهي تفكر فيما قالته لها (نجوى) .. إنها
تظن أن أخاها يمكن أن يبدي اهتماما حقيقيا بها .. أو
يحاول خطب ودها .

بينما هو في الحقيقة يكرهها .. ويتمنى لو رحلت عن
هذا المكان . بل كان يتمنى لو لم يأت بها إلى هنا .

ولو استطاع أن يطردها من المزرعة لفعل .
ولولا وعدها للحاج (عبد الفضيل) لما بقيت في هذا
المكان يوما واحدا بعد ما قاله لها .

إنه إنسان أناني ومادى .. لاتعنيه مشاعر الآخرين ،
ولا يهتم بمعانى الأشياء الجميلة التى تربط بين الإنسان
والمكان .. قدر اهتمامه بتحقيق مصلحته الذاتية .. ولو
باللجوء إلى الغش والخداع .

بقدر ما أعجبت به فى البداية بقدر ما خاب أملها فيه .
ولمحت (يسرا) الأب وهو يغادر المكان عاندا إلى
منزله بعد أن اطمأن على رعايتها لأشجار الموالح .

وعاودها شرودها مرة أخرى ، وهى تستعيد ملامح
وجه (سامح) حينما أتى بها إلى هذا المنزل ، وأخذ يوصى
بها أم (ابراهيم) وقد أخذ يبذل أقصى ما لديه من جهد من
أجل راحتها ، وتوفير الأمان الذى كانت تحتاجه فى هذه
الليلة البائسة .

كان يبدو إنسانا نبيلاً ورفيقاً بكل معنى الكلمة .. وأحست
به وهو يودعها قبل ذهابها إلى غرفتها وكأنه ملاك أرسلته
لها السماء ؛ ليخفف عنها معاناتها فى هذا اليوم .

لكن ما أبعد المسافة بين هذا الرجل الذى التقت به فى
تلك الليلة ، وبين الرجل الذى حادثها بالأمس بكل تلك
القسوة التى كانت تقطر من كلماته .

والذى كاد أن يصفعها على وجهها .. ويلقى بها خارج
المزرعة .

كان الإنسان الذى حادثها بالأمس إنسانا همجيا ..
قاسيا مستعدا لفعل أى شئ فى سبيل تحقيق مصلحته .

نعم .. لقد خاب أملها فيه .. ولم تكن تتمنى أن تكشف
فيه ما اكتشفته من جوانب مظلمة .

وفى تلك اللحظة تنبهدت من شرودها على صوت أحد
المزارعين وهو يقول لها :

- يا باشمهندسة .. هل يمكننا أن نحصل على راحة الآن ؟ فنحن نعمل منذ الصباح .

نظرت (يسرا) إلى ساعتها قائلة :

- فلنستريحوا لمدة نصف ساعة فقط .. بعدها

سنواصل العمل .

ثم استأنفت سيرها بين أشجار البرتقال .. وهي تحاول ألا تستسلم لذلك الشرود .. وألا تفكر في (سامح) مرة أخرى .

وتوقفت وهي مندهشة من نفسها :

- إنها تقول : إنه يتعين عليها ألا تفكر في (سامح) ..

في حين كان المفروض أن تكون أفكارها منشغلة بـ (صلاح) .. وبالصدمة التي تلقتها على يديه منذ يومين فقط .

بدأت وكأنها مستغربة من طريقة تفكيرها .

- لقد استطاع (سامح) أن ينسيني (صلاح) ..

ومشكلتني معه تغلبت على صدمتي التي تلقيتها منذ يومين فقط .

نعم .. لقد حدث هذا بسرعة غريبة .. وعلى نحو لم

تتوقعه .

برغم أنها كانت تظن أنها لن تبراأ من جراحها قبل مرور فترة طويلة من الزمن .

تُرى .. أهو (سامح) ؟ أم الحماس الذي تبديه نحو العمل في هذه المزرعة .. والذي قد يكون وسيلة هروب مؤقتة ؟

إنها لا تدري .. كل ماتدرية .. هو أنها لا تفكر الآن في (صلاح) ومشاعرها نحوه .. وصدمتها فيه على النحو الذي كانت تتصوره .

وفيما هي مستغرقة في أفكارها .. وجدته واقفاً أمامها وملامح الخجل مرتسمة على وجهه .



***** ١٣٣ *****

***** ١٣٢ *****

نظر إليها كما لو كان طفلاً ارتكب ذنباً .. قائلاً :
 - هل تذكرين عندما اعتذرت لي عما ظننته بي عندما
 كنا معاً في تلك السيارة ؟
 لقد اتهمت نفسك بالحماسة فيما ذهبت إليه .. وقد قبلت
 منك اعتذارك .

وصمت برهة قبل أن يقول :
 - وما قد جاء دوري لكي أعتذر .. إنني آسف على
 ما بدر مني بالأمس ، وأرجو أن تقبلي اعتذاري .
 تظاهرات بالجمود وهي تسأله قائلة :
 - عن أي شيء ؟ .. عن إهانتك لي .. أو محاولتك
 رشوتي ؛ لكي أشاركك خديعتك لأبيك .. أم عن محاولتك أن
 تصفعني ؟

قال لها وهو منكس الرأس :
 - عن كل شيء .
 أدارت له ظهرها وهي تتابع سيرها قائلة :
 - آسفة .. لن أقبل اعتذارك .

نظر إليها في دهشة برهة من الوقت .. وكأنه لا يصدق
 أن تكون هذه هي إجابتها .. ثم ما لبث أن لحق بها قائلاً :
 - ولكنني قبلت اعتذارك من قبل .. ألا تستطيعين أن
 تكوني متسامحة ؟

قالت (يسرا) بكبرياء :
 - هناك فارق بين ما ارتكبه كل منا من ذنب .
 - بل هناك سوء فهم .

التفتت إليه قائلة وملامح الغضب واضحة على وجهها :
 - بل أعتقد أنني أفهمك الآن جيداً يا أستاذ (سامح) .
 - اسمعي .. دعينا لا ندخل في مجادلة مرة أخرى .. لقد
 جئت إليك لأعتذر عن كل ما قلته وفعلته .. وأنا بالفعل نادم
 على ما فعلته معك .. فلم يسبق لي .. بل لم أتصور أن
 ترتفع يدي ذات يوم على فتاة أو امرأة .
 لكنني أعتقد أنها كانت لحظة انفعال حمقاء .

ونظر إليها وفي عينيه توسل قائلاً :
 - والآن .. هل ستسامحينني ؟
 بدا عليها بعض ملامح التردد .. ثم قالت له بعد برهة
 من الوقت :

- تستطيع أن تقول : إنني قد قبلت اعتذارك .

أمسك بيديها قائلاً وفي عينيه امتنان حقيقي :

- أشكرك .. أشكرك جداً .

وللحظة أحست (يسرا) برجفة في يديها من جراء لمستها لها .. وبدا وكأن تياراً كهربائياً يسرى في أناملها دون أن تدري مصدره .

فسحبت يدها من يده سريعاً .. وهي تقول له بصوت خرج خافتاً برغم منها .. ثم سرعان ما حاولت أن تجعله يبدو طبيعياً :

- لم أكن أعتقد أن قبولى لاعتذارك ، سيشكل كل هذه الأهمية بالنسبة لك .

- إنك لا تعرفين مدى الأسف الذي أحسست به بالأمس ، وتأثير ما قلته لى من كلمات قبل انصرافك على نفسى .. لقد حرمنى ذلك الإحساس بالندم من النوم .

وكلما استعدت كلمتك لى بأننى قد سقطت من نظرك كلما عاودنى الأرق .

صدقينى إننى لست متهوراً على هذا النحو الذى بدوت عليه بالأمس ، ولا أدرى ما الذى دفعنى لأن أتصرف معك على هذا النحو .

- حسن .. لست بحاجة لى تقول المزيد .. فكل هذه

***** ١٣٦ *****

الكلمات التى سردتها الآن معبراً بها عن إحساسك بالأسف والندم تجاه تصرفك نحوى بالأمس تجعل الأمر منتهياً .

لكنى لا أعتقد أن الأمر قد انتهى ببينا بشأن العمل الذى أوكله لى أبوك فى هذه المزرعة .. فأنا مازلت مصرة على تنفيذه وإحراز النجاح فيه .. وأعتقد أن هذا أمر لا يلائمك مطلقاً ويتعارض مع مشاريعك .

ابتسم (سامح) قائلاً :

- وما حيلتنا .. إذا كانت الأمور تبقى متعارضة ببينا

على هذا النحو . على كل حال إن ما أبغيه هو ألا يؤثر ذلك على علاقتنا الشخصية .. فإننى بالرغم من كل شيء ، أحمل لك بعض المشاعر الطيبة .

- وأنا أقدر موقفك معى أول أمس حينما صحبتنى فى سيارتك .

- هذا الموقف كنت سأقفه تجاه أى فتاة أخرى ، لو كانت فى مكانك .. لكنى أتحدث عن المشاعر الخاصة التى أحملها تجاهك .

قالت (يسرا) بدهشة :

- مشاعر خاصة ! .. لا أفهم ماذا تعنى بذلك ؟

- إنك فتاة رقيقة وصلبة فى آن واحد .. وهذا

***** ١٣٧ *****

ما يجعلنى معجباً بك .. وبرغم اختلاف وجهة نظرنا بشأن
المزرعة .. إلا أننى معجب بتصميمك وإصرارك على
التمسك بوجهة نظرك .

- أشكرك .

- أضيف إلى ذلك شيئاً سبق أن قلته لك .. وهو أنك
جميلة للغاية .. وهذا سبب طبيعى ؛ لكى أعجب بك .

أحست بسعادة داخلية لسماعها هذا منه .. لكنها أخفت
إحساسها هذا عنه .. قائلة له بلهجة جادة :

- إن هذا يدخل فى دائرة الغزل .

- إذن .. فأنا أغازلك !

التفتت إليه محتجة وهى تقول :

- اسمع يا باشمهندس .. إننى ..

قاطعها قائلاً :

- (سامح) .. (سامح) فقط من فضلك بلا ألقاب .

خفت صوتها وهى تقول له :

- إننى أفضل أن نتشاجر عن أن نحاول ...

قاطعها مرة أخرى وهو يبتسم قائلاً :

- ولماذا نتشاجر ؟ وما الضرر فى أن أعبر لك عن

إعجابى بك .. لا أعتقد أنك مازلت تظنين فى ذلك الشاب

***** ١٣٨ *****

العابث المستهتر الذى تخيلته بصحبتك فى السيارة .
فأنا لا أقصد مضايقتك أو العبث بك .. إننى أعبر فقط
عن حقيقة إعجابى وتقديرى لك .

- وهل هبط هذا الإعجاب والتقدير عليك مرة واحدة ؟ ..

إننا حتى أمس كنا نتجادل معاً .. وقد كدت أن تصفعنى
وتطربنى من منزلك .

- بالأمس . كنا نتحدث عن المزرعة .. وقد أثرت
غضبى بشأن تدخلك فى أمورنا .. ونحن مازلنا مختلفين
بذلك الشأن .

لكن اليوم أتحدث عنك أنت .. وعن شعورى نحوك ..
وأنا صادق معك فيما أقوله .

صمتت برهة وقد أثرت فيها كلماته قائلة :

- فى أنك ترانى جميلة ؟

- بل جميلة للغاية .. ليس بمقياس الشكل فقط .. ولكن

بما أراه فىك من صفات تعبر عن جوهرك .

هزت رأسها قائلة :

- إنك لم تعرفنى إلا منذ يومين فقط .

- ومع ذلك فقد استطعت أن أتبين الكثير عنك خلال

هذين اليومين .

***** ١٣٩ *****

نظرت إلى ساعتها قائلة :

- حسن .. والآن هل تسمح لي لكي أوصل عملي ؟

- سألتقي بك على الغداء .

وأخذت تتنادى على المزارعين ، وهي تتظاهر بالتأهب

للعمل .. في حين كانت تحاول التخلص من تأثير كلماته

عليها .. والتي أحدثت أثراً في نفسها .. وما أن أولاها

ظهره وانصرف حتى التفتت لتتظر إليه .. وقد اعترتها

حالة من الاضطراب .

لقد كانت تتهمه منذ لحظات بالأنانية والهمجية

والقسوة ، لكن كل ذلك يبدو أنه يتبدد بعد محادثتها معه .

فها هو ذا يعود ليعاملها برفقة ولطف ويبدى إعجابه

وتقديره لها .. وهي تشعر بأثر بالغ لكلماته على نفسها .

ترى أيكون ما قاله حقيقياً ؟ وهل يحمل لها شيئاً من

المشاعر حقاً ؟ أم أنه يهدف من وراء ذلك إلى التأثير

عليها ؛ لكي تساعد على بيع المزرعة ؟

وتنهدت قائلة لنفسها :

- على كل حال .. لقد بدا رقيقاً على النحو الذي أحببته

فيه عندما التقينا أول مرة .

والأسلوب الذي حدثها به ترك أثراً حقيقياً في نفسها .

***** ١٤٠ *****

كان عليها أن تنفض كل ذلك من رأسها ؛ لتلتفت إلى

ما تقوم به هنا من عمل .. وألا تستسلم لهذا الاندفاع

العاطفي الذي تسلل إليها مرة واحدة .

واستدارت ؛ لتتابع الإشراف على المزارعين ، محاولة

أن تجعل الاستغراق في العمل سبيلها إلى مقاومة هذه

المشاعر الطارئة .

أما (سامح) فقد واصل طريقه خارج المزرعة ؛ ليسير

بالقرب من جدول ماء وهو يسائل نفسه قائلاً :

- ترى .. هل نجحت في تنفيذ خطتي ؟ وهل استطعت

أن أوثر عليها حقاً ؟

اعتقد أنني سأكون بحاجة لبعض الوقت .. حتى يمكنني

أن أكون مؤثراً بالفعل وأتمكن من ضمها لصفى .. وبذلك

أجعلها تساعدني في إقناع أبي ببيع المزرعة ..

وتوقف فجأة وقد أحس بشيء من عدم الرضا لتفكيره

في استغلال الفتاة على هذا النحو .

لكنه عاد ليقول لنفسه :

- وماذا أفعل ؟. إنها لم تدع خياراً آخر .. وكنت أتمنى

ألا أضطر للجوء إلى ذلك .

فهى بالفعل فتاة رقيقة وجميلة .. وتمتلك شخصية

مؤثرة وتستحق الإعجاب .

***** ١٤١ *****

وصمت برهة وهو يستعيد ما قاله لنفسه .. ثم ما لبث
أن قال :

- يبدو أنني معجب بها بالفعل .. نعم ربما لا أستطيع أن
أنكر ذلك .

وفى تلك اللحظة سمع صوتاً ينادى عليه ويخرجه من
أفكاره .

فالتفت ليرى فتاة تقترب منه وهى تلوح له :

ابتسم وهو يصافحها قائلاً :

- أهلاً (نهلة) .

صافحته بحرارة قائلة بعتاب :

- أهلاً بالرجل الذى لا يفى بكلمته .. لماذا لم تأت

لزيارتنا فى القاهرة كما وعدت ؟

- فى الحقيقة كنت منشغلاً للغاية خلال الأسابيع
الماضية .

- منشغلاً إلى درجة أنك لا تستطيع الاتصال بالهاتف ..

كنت أظن أنني أحظى بأهمية لديك أكثر من ذلك .

ابتسم (سامح) قائلاً :

- إن أهميتك كبيرة لدى بالفعل وأنت تعرفين ذلك ..

ولكن بعض الأمور فى المزرعة هى التى شغلتنى عنك ..

متى جئت من القاهرة ؟

- وصلت بالأمس فقط .

- إذن .. سنراك فى المزرعة قريباً .

- بالطبع .. ما أخبار (نجوى) وعمى ؟

- بخير .. وما أخبار والدك الدكتور (حامد) ؟

- إنه يسأل عنك .. أئن تأتى لزيارتنا ؟

- بلى .. أعدك بذلك .

- متى ؟

- حينما تسنح الفرصة .

- إن الفرصة سانحة الآن .. لم لا تأتى معى لتسلم على

أبى ؟

- ولكن ...

لكن دون أن تدع له الفرصة للاعتراض تأبطت ذراعه

قائلة :

- هيا بنا .. إن المسافة بين مزرعتنا ومزرعتكم ليست

كبيرة .. وسوف يسعد أبى برؤيتك .

ووجد (سامح) نفسه منصاعاً إليها .

وتجاوزت معه أطراف الحديث قائلة :

- لا أدرى يا (سامح) كيف تطبق الحياة هنا .. والبقاء

لفترات طويلة فى تلك المزرعة .. إننى لا أكاد أفضى الشهر

١١ - قال للحب .. وداعاً ..

كانت معاملته لها ودية للغاية أثناء جلوسهم إلى مائدة الغداء ، وقد أخذ يقدم لها بعض أنواع الطعام بنفسه ..
قائلًا :

- أعتقد أن هذا الصنف سيعجبك للغاية .. تذوقيه
وعلى ضمانتي ..

قالت له (يسرا) وهي تشكره على هذه المعاملة اللطيفة :
- إنه شهى بالفعل .

وتناولت بدورها أحد أنواع الأطعمة ؛ لتقدمها له قائلة :
- أريدك أن تتذوق هذا .. فقد أعدته بنفسى .

تناول منها (سامح) الطعام قائلاً بدهشة :
- هل تقصدين أنك قد وقفت فى المطبخ .. وأعدته ؟

- نعم .. وما الذى يدهشك فى ذلك ؟
- كيف وجدت وقتًا للوقوف فى المطبخ وسط هذا

الجهد الشاق الذى بذلته منذ الصباح فى حدائق الموالح ؟
ابتسمت قائلة :

- بشيء من التنظيم يمكن للمرء أن يفعل كل شيء .

***** ١٤٥ *****

[١٠م زهور ٦٣ (لسة حب)]

الذى أمضيه مع أبى فى مزرعته إلا بالقوة .. وعلى سبيل
التغيير فقط .. فالحياة هنا رتيبة ومملة .

- إننى أبذل أقصى جهدى لإقناع أبى ببيع المزرعة
والحياة فى القاهرة .

- سيكون هذا أفضل شيء تفعله .. وما أخبار المشروع
التجارى الذى حدثتني عنه من قبل ؟

- إنه مرتبط ببيع المزرعة .. بعدها سيمكننى تنفيذه .
- سيكون شيئاً رائعاً .. أن أراك بجانبى فى القاهرة

طوال العام .
ابتسم (سامح) قائلاً :

- إننى لن أكون بجانبك بالطبع .. فسوف يستنفد ذلك
المشروع كل طاقتى ووقتى .

قالت (نهلة) مداعبة :
- ولو .. مجرد إحساسى بأنك معى فى نفس المدينة ..

ثم إننى سألاحقك بالزيارات والاتصالات الهاتفية .
- إذن .. فأنت تتوین إفساد مشروعى منذ البداية .

واستمراً معاً فى ضحك ومرح .. حتى وصلا إلى
المزرعة التى يملكها والد (نهلة) .

★ ★ ★

***** ١٤٤ *****

- الدكتور (حامد) ؟ .. لقد مضى وقت طويل منذ أن
غادر مزرعته المجاورة .

سألت (نجوى) :

- وما أخبار (نهلة) ؟

أجاب (سامح) :

- إنها بخير .. وترسل لك سلامها .

- ألن تأتي لزيارتنا ؟

- ربما غذا أو بعد الغد .

- ولهذا تأخرت اليوم فى العودة إلى المزرعة .

- نعم .. لقد اصطحبتنى معها لزيارة مزرعتهم وتحية

أبيها .

وتساءلت (يسرا) عن تكون (نهلة) هذه .. وما مدى

العلاقة التى تربطها بأسرة الحاج (عبد الفضيل) ..

ويـ (سامح) على وجه الخصوص .

قالت لنفسها :

- يبدو أن بينهم صداقة قديمة .. كما يبدو أن لـ (نهلة)

هذه مكانة خاصة لدى (سامح) .

وهزت كتفيها قائلة لنفسها :

- وما شأنى بذلك ؟

***** ١٤٧ *****

وتذوق (سامح) الطعام وهو يبدي إعجابه قائلاً :

- يا له من طعام شهى !.. يبدو أن لديك العديد من

المواهب .

وايدى الأب ارتياحاً لهذه العلاقة الطيبة .. وروح الود

والوئام التى نشأت .. فى حين اندهشت (نجوى) من

ذلك .. ووجدت نفسها تندفع قائلة :

- يبدو أن أخى قد استرد بصره من جديد .

نظر إليها (سامح) بغضب قائلاً :

- ماذا تعنين بذلك ؟.. هل كنت مصاباً بالعمى من قبل ؟

- نعم .. عمى مؤقت .. ولكن الحمد لله ، يبدو أنك قد

شفيت الآن ، وأصبحت ترى من حولك بوضوح .

قال لها غاضباً :

- ماذا تقصدين بذلك يا سليطة اللسان ؟

قال الأب :

- لا تعط أهمية لما تقوله .. أنت تعرف خزعبلات

(نجوى) .

تساءل (سامح) :

- هل تعرفون من أتى إلى القرية اليوم ؟ إنه الدكتور

(حامد) وابنته (نهلة) .

***** ١٤٦ *****

بينما تحدثت (نجوى) إليها قائلة :

- إن (نهلة) فتاة لطيفة للغاية يا (يسرا) .. ولا بد أنها

ستعجبك حين تريها .

- لا بد أنكما صديقتان منذ فترة طويلة .

- نعم .. لكنها تمل سريعاً من الإقامة في القرية ، وأشد

تعلقاً بالحياة في القاهرة .

وعندما انتهيا من تناول طعامهما ، اصطحبتهما

(نجوى) معها ليسيرا في الحديقة .. حيث سألتها (يسرا)

قائلة :

- لا بد أنه تربطك صداقة قوية بتلك الفتاة التي حدثتيني

عنها .

مطت (نجوى) شفيتها قائلة :

- ليس بدرجة قوية .. لكن بيننا قدرًا من الصداقة

برغم اختلاف طباعنا .. واختلاف النظر إلى الأمور من

جانب كل منا .

إنها ليست مثلاً بدرجة قوة صداقتي لك .. برغم أنني

أعرفك منذ أيام قليلة .. في حين تمتد علاقتي بـ (نهلة)

إلى سنوات طويلة .

ابتسمت (يسرا) قائلة :

- إننى سعيدة لأن أسمع منك ذلك .

ثم أردفت قائلة بفضول :

- وماذا عن صداقتك لـ (سامح) ؟

قالت لها (نجوى) بخبث :

- كلا .. إن الأمر هنا يختلف .. ويتعدى حدود الصداقة ..

فهى تكن عاطفة قوية نحو (سامح) ، وتأمل فى اليوم

الذى يتقدم فيه لخطبتها .

قالت (يسرا) باضطراب :

- خطبتها !؟

- نعم .. إن (نهلة) فتاة جميلة .. بل جذابة للغاية

وهناك عشرات الأشخاص يلاحقونها ويطلبون ودها ..

ويأملون فى أن تكون زوجة لهم .. لكن فيما يبدو إنها

لا ترغب إلا فى أن يكون (سامح) هو الزوج المنتظر .

فهى شديدة التعلق به .. وهذا أمر واضح لنا جميعاً .

ارتكزت (يسرا) على جذع الشجرة ، وقد وضعت يديها

خلف خصرها ترقب النجوم المتلألئة فى السماء .

وكان (سامح) فى طريقه للبحث عنها ، عندما وجدها

واقفة على هذا النحو .

وقف يتأملها بإعجاب حقيقى .. كانت تبدو فاتنة .. وقد

أضفى عليها سكون المكان وهذا الليل الحالم مظهرًا ملانكيًا .

انتباه إحساس خفى نحوها، جعله يفتتن بها وهو يتأملها على هذه الصورة .

إحساس حقيقي غير مصطنع .

وأخذ يحدث نفسه عن جمال بشرتها البيضاء الناعمة، ووجهها الذى يشع جاذبية .. وهو يبدو قمراً منيراً وسط هذه النجوم المتلألئة .. وأحس بالحيرة بينه وبين نفسه .. فمنذ عهد بعيد لم ينتبه لمثل هذا الإحساس الشعاعى .. ولم تؤثر فيه فتاة على هذا النحو .

وهمس قائلاً لنفسه :

- هذا ما كنت أخشاه .. إن هذه الفتاة تفسد لى كل

خطى وتربكنى تماماً .

شئ ما .. كان يحذرني من بقائها لدينا.. وينذرني بالخطر منها . وها هى ذى قد تدخلت فى أمر بيع المزرعة بحماسها الجنونى نحو حدائق الموالح . وها هى ذى تؤثر على مشاعرى وتدفعنى إلى الافتتان بها .. بدلاً من أن يحدث العكس .

واستطرد قائلاً لنفسه متبرماً :

- ما الذى جعلنى أغادر المزرعة فى ذلك اليوم الذى

التقيتها فيه ؟

***** ١٥٠ *****

وهم بالعودة من حيث أتى .. لكنه ما كاد يخطو خطوتين مبتعداً ، حتى استدار وعاد ؛ ليتأملها مرة أخرى .

لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إليها ولا مقاومة إحساسه بالاجذاب نحوها .. شئ ما يجذبه إليها ولا يقوى على دفعه .

وضرب بقبضته فى قوة على جذع إحدى الأشجار قائلاً لنفسه :

- ما الذى دهانى هذه الليلة ؟

وفى تلك اللحظة حانت التفافة من (يسرا) إلى الجهة التى يقف فيها (سامح) فلمحته واقفاً يتأملها .

واضطربت لرؤيته المفاجئة .. وهو واقف يتلصص عليها على هذا النحو .. بينما أصيب هو الآخر بارتباك مفاجئ حينما أدرك أنها قد رآته واقفاً يتأملها على هذا النحو .

ووجد نفسه يخطو نحوها وهو مازال مرتبكاً .. حيث وقف أمامها قائلاً :

- لقد بحثت عنك فى المنزل فلم أجدك .. وحينما لمحتك وأنت واقفة هنا لم أرد أن أقطع عليك تأملاتك .

- إن المكان هنا جميل ، ويثير التأملات بالفعل .

***** ١٥١ *****

تلفت حوله قائلاً :

- وهذه الليلة التي يخيم عليها الهدوء والسكينة تضيء
مزيداً من الجمال على المكان .

ابتسمت قائلة :

- يسعدنى أن تكون لديك مثل هذه الأحاسيس نحو
الأماكن ، والأشياء الجميلة التي تهبها لنا الطبيعة .

- فى الحقيقة أننى لم أشعر بها هكذا من قبل .. وأظن
أنك قد أضفت رونقاً خاصاً على المكان ، جعلنى أراه فى
صورة مختلفة عما كنت أراه عليها من قبل .

أحست (يسرا) بتأثر بالغ لكلماته .. وقالت له بصوت
يكشف عن تأثرها :

- هل تعرف أنك أحياناً تحيرنى ؟

- كيف ؟

- تارة أراك شخصاً قاسياً يتعامل مع الأمور بعقلانية
ومادية شديدة .. وبعيداً تماماً عن دائرة المشاعر
والأحاسيس .. وتارة أخرى أراك مختلفاً تماماً .

تنهد (سامح) وهو يضع يديه خلف خصره ؛ ليرتكز
بهما على الشجرة المقابلة لها قائلاً :

***** ١٥٢ *****

- ربما لأننى أحاول الهرب من هذه المشاعر
والأحاسيس ودربت نفسى لفترة طويلة على ذلك .

- لماذا ؟

- لأننى مررت بتجربة قاسية فى حياتى مع فتاة
أحببتها حباً كبيراً . وكنت أظن أن المشاعر والأحاسيس
القوية التى تربط بيننا لا يمكن فصمها أبداً .. وأنها أقوى
من أى شىء آخر عداها .

واكتشفت فجأة أننى كنت واهماً .. بل وساذجاً للغاية
فيما تصورته عن حبنا .

لقد ذهب مع الريح لدى أول إغراء مادى قوى .

ومن يومها تعلمت أن القيمة الحقيقية فى عصرنا
الحالى هى القيمة المادية فقط .. والنجاح المادى وحده ..
أما ماعداها فيأتى فى المرتبة التالية .

- ومن أجل هذا تلهث وراء مشروعك التجارى ..
وتأمل أن يتحول فى المستقبل إلى عدة مشاريع .. سعياً
وراء المزيد من النجاح المادى والثراء السريع .. هل
تعتقد أنك ستسعد بهذا لو تحقق ؟

- إننى أتعامل بلغة العصر .

***** ١٥٣ *****

- لا تظلم العصر .. فنحن الذين نفسده .. لأننا نضحى
بقيم وأشياء جميلة فى حياتنا من أجل القيم المادية
وحدها .. قيم قد تفسد علينا حياتنا . وتحرمنا من نعمة
الرضا ، وتستعبدنا من أجل الوصول إليها والحفاظ عليها
واللهات وراءها .. وربما لم نجن من ورائها السعادة التى
نأملها .. بل قد نجنى الشقاء .

ابتمس فى سخريه قائلًا :

- هذا حديث الفلاسفة .. ربما لم تمرى بعد بتجربة
تعلمك أهمية القيم المادية فى حياتنا .. وأنها أساس
النجاح الحقيقى لأى علاقة إنسانية .
تنهدت قائلة :

- ربما كنت مخطئا فيما قلته بشأن عدم تعرضى لتجربة
مماثلة لتجربتك .. فلا تتسرع فى إصدار أحكامك على
الآخرين .

وما أدراك ربما كانت تجربتى أقسى وأشد مرارة ،
مما تعرضت له .

- لو كانت تجربة مماثلة ، أو أشد قسوة كما تقولين ..
فهذا يؤكد لك صدق نظريتى .. وكان الأحرى بك أن
تؤيديها .

***** ١٥٤ *****

- كلا .. فأنا لم أفقد إيمانى بقيمة المشاعر
والأحاسيس الإنسانية بعد .. ولن أدع تجربتى تتحكم فى
حياتى ، وفى نظرتى للأمور كما فعلت بك .
سألها قائلًا :

- لكنك لم تحدثينى عن تجربتك هذه .

- عندما قابلتني فى الطريق بسيارتك .. كنت عائدة
لتوى من منزل رجل كان يفيض حبًا وحنانًا ، أو هكذا خيل
لى .. رجلًا كان يقول : إن كل حلمه أن أكون زوجته وأن
يجمعنا منزل واحد .. وأنه لا يتصور الحياة بدونى ..
وأشياء كثيرة تعبر عن حب كبير .

وفجأة انتهى كل هذا دون سبب محدد .. ودون جرم من
جانبى .

اختفت كل هذه المعانى الجميلة .. وتلاشت الوعود
والأحلام عندما لوح له أبوه بحرمانه من المزايا المادية
التى كان يمنحها له .. ومن الميراث ، لو لم يتزوج
الإنسانة التى اختارها له .

ولم يحتج إلى وقت طويل للتفكير .. فلم يكن مستعدًا
للتخلى عن الدعم المادى الذى يقدمه له الأب وعن تأمين

***** ١٥٥ *****

وبدون أن تدري هي الأخرى وجدت نفسها تستكين بين
ذراعيه مطلقاً العنان لعبراتها .
بينما كانت يده ترتب بحنان فوق شعرها المنسدل على
كتفها .

★ ★ ★



***** ١٥٧ *****

مستقبله .. وهكذا قال للحب وداغاً .
وتركت منزله بكبرياء محطم .. وجرح عميق ..
ومهانة لم ألق مثلها في حياتي .
تأملها وفي عينيه نظرة تعاطف قوية قائلاً :
- هل كان (صلاح) هو ...
انحدرت العبرات من عينيها وهي تقول له بصوت
متهدج :

- نعم ..

قال لها بأسى :

- أنا آسف .. لم أكن أعرف ...

حاولت أن تتصرف بعد أن انسالت عباراتها دون أن
تقوى على السيطرة عليها :

- لم أكن أظن أنني سأروى قصتي المهينة هذه لأحد .

لكنه أمسك بكتفيها ليمنعها ؛ من الانصراف وهو

بواجهها قائلاً :

- ليس هناك ما يدعوك إلى الخجل مني .. فنحن

شريكان في هذا الحب التعس .

وبدون أن يدري وجد نفسه يضمها إلى أحضانه ..

***** ١٥٦ *****

١٢ - اللمة السحرية ..

تنبهت (يسرا) وقد وجدت نفسها بين ذراعيه ..
فانتزعت جسدها من أحضانه قائلة :

- آسفة .. يبدو أن مشاعري قد تغلبت على ..

- لا يوجد ما يدعوك إلى الأسف .. أنا الذى يتعين عليه
أن يأسف ؛ لأننى أثرت شجونك على هذا النحو .

- أعتقد أنه يتعين علينا أن نعود الآن إلى المنزل .

لكنه استبقاها ، وهو يمسح بأنامله آثار العبرات التى
سالت على وجنتها قائلاً :

- لأدرى كيف يمكن لأى شخص أن يفرط فى فتاة
رائعة مثلك .

نظرت إليه قائلة :

- إذا كانت المصلحة تقتضى ذلك .. أليست هذه هى
مبادئك الجديدة ؟

أزاح الخصلات التى تهدلت على جبينها ، وعيناه
تتهجان عاطفة قائلاً :

- أعتقد أنه يتعين على أن أعيد التفكير فى هذه
المبادئ .

قالت له (يسرا) وقد تأثرت بمعاملته الرقيقة :

- بل يتعين عليك أن تعود لنفسك .. أنا لم أكفر بقيمة
المشاعر والعاطفة الحقيقية فى حياتنا .. وعليك ألا تكفر
بها أيضاً .

★ ★ ★

شهد اليوم التالى تقارباً أكبر بين (سامح) و(يسرا) ..
فقد أخذ يلاحقها أينما ذهبت .

لم يستطع أن يمنع نفسه عن التفكير فيها طوال الليل ..
وعندما أشرق النهار .. بدا أن حبها قد غزا قلبه .

تنبهت على صوته وهو يفاجئها أثناء عملها فى حديقة
البرتقال قائلاً :

- هل تحتاجين مساعدة ؟

التفتت إليه باسمه وهى تقول :

- ألم يخطر لك أن تسأل هذا السؤال إلا الآن ؟ بالطبع

أحتاج مساعدة .. أليست مهندساً زراعياً ؟

ابتسم قائلاً :

- هكذا تقول الشهادة التي حصلت عليها .

- إذن تعال ؛ لتفحص هذه الثمرات والأوراق معي .

قال لها مداعبًا .

- وهل ستعطيني أجرًا طيبًا ؟

قالت له بدلال :

- هذا يتوقف على الجهد الذي ستبذله في عملي .

- أعددك بأن أبذل أقصى جهدي .

ومن بعيد وفتت (نجوى) ترقبهما وهي تشعر بسعادة

بالغة .. حينما لمحت أباهما وهو في طريقه إلى حديقة

البرتقال فاستوقفته قائلة :

- إلى أين أنت ذاهب يا حاج ؟

نظر إليها قائلاً :

- سأرى ما تم إنجازه من عمل .

- لا داعي لذهابك الآن .. أعتقد أن العمل يسير على

خير وجه .

وأشارت إلى حيث يقف (سامح) و(يسرا) قائلة :

- انظر .. لقد انضم إلى العمل في حديقة الموالج

شخص جديد .

وارتسمت الدهشة على وجه الأب وهو يرى ابنه

يشارك (يسرا) في العمل قائلاً :

- (سامح) يعمل بنفسه في الحديقة .. أي انقلاب هذا

الذي يحدث هنا ؟

ضحكت (نجوى) قائلة :

- انقلاب تتزعمه المهندسة (يسرا) .

ضحك الأب بدوره قائلاً :

- يبدو أن هذه الفتاة تفعل الأعاجيب .

قالت (يسرا) لـ (سامح) :

- ألا تريد أن تحصل على بعض الراحة ؟

- إنني لا أشعر بتعب طالما أنا بجوارك .

قالت له بدلال :

- هل ستعود إلى مغازلتى مرة أخرى ؟

- نعم .. ويجب أن تتعادي على ذلك .. فكيف يمكننى

أن أتوقف عن مغازلة فتاة جميلة مثلك .

- ولكن هذا يتجاوز حدود العمل يا باشمهندس .

- بل إن هذا يحفزنى على العمل يا باشمهندسة .

- يبدو أنك مصرّ على ذلك .

- إننى لا أقوى على مقاومة ذلك .

- إذن سأحملك بالمزيد من العمل هنا .

- لقد قلت لك ؛ إننى لا أشعر بالتعب طالما أنا بجوارك .
وحملته صندوقاً من الكارتون قائلة :

- إذن احمل هذا .. وابق واقفاً هنا .

ثم أمرت المزارعين بتحميل كميات كبيرة من البرتقال
واليوسفى الذى كانت تفحصه ، والذى يزيد فى وزنه عن
الثلاثين كيلو جراماً فى الصندوق الذى يحمله (سامح) ..
قائلة له ، وهى تشير إلى أحد الأجولة :

- انقل هذا إلى الجوال هنا .

نظر إليها مغتاضاً ، وهو يحمل الصندوق بعناء شديد ..
متجهاً إلى الجوال حيث استوقفته قائلة :

- إنتظر .. أعتقد أنه يمكنك أن تحمل وزننا إضافياً .

ثم أشارت إلى المزارعين ، لكى يضعوا فى الصندوق
المزيد من البرتقال .. وقد كاد أن يسقط تحت ثقل
حمولته .

وفى المساء سألت (يسرا) عنه أخته وقد لاحظت
غيابه قائلة :

***** ١٦٢ *****

- لماذا لا أرى (سامح) هذه الليلة ؟

قالت (نجوى) :

- إنه بغرفته .. مسكين إنه يتألم بشدة .

سألته (يسرا) بانزعاج قائلة :

- يتألم .. لماذا ؟ مالذى أصابه ؟

- يبدو أنه قد أصيب بانزلاق غضروفى ، ويعانى من

آلام مبرحة بظهره ..

انزعجت (يسرا) بشدة قائلة :

- لا بد أن أراه .. إننى المسنولة عن ذلك .

سألته (نجوى) بخبث قائلة :

- مسنولة عن ذلك .. كيف ؟

- لقد بدأ الأمر بمزاح حينما حملته ذلك الصندوق

الثقيل .

- لا أفهم .. ماذا تقصدين بذلك ؟

- (نجوى) .. من فضلك هل تصحبيتنى إلى غرفته ..؟

يجب أن أطمئن عليه .

وصحبتها (نجوى) إلى غرفته حيث وجدته ممدداً فوق

فراشه .. وما إن رآها حتى أخذ يئن بشدة .. ويصرخ من

الألم .

***** ١٦٣ *****

سألته (يسرا) قائلة :

- ماذا بك ؟

قال لها (سامح) متألماً :

- ظهري .. آلام لا تطاق في ظهري .. إنني عاجز حتى

عن محاولة الجلوس ..

وضعت (يسرا) يدها على وجنتها وهي تجلس

بجواره ، وملامح الندم والأسى في عينيها قائلة :

- إنني آسفة .. أنا المسنولة عن ذلك .

أمسك (سامح) بيدها قائلاً :

- لماذا فعلت بي ذلك ؟ أي ذنب ارتكبت في حقك

لتسببي لي كل هذه الآلام ؟

وفي تلك اللحظة انسحبت (نجوى) من الحجرة دون أن

يلحظها أحد .

بكت (يسرا) قائلة :

- أرجوك .. سامحنى .. ولكن لا بد من استدعاء طبيب

فوراً .

قال لها متوسلاً :

- كلا .. أرجوك .. فقط ضع يديك على جبهتي .

ووضعت يدها على جبهته برفق .. فهمس لها قائلاً :

***** ١٦٤ *****

- نعم .. هكذا .. والآن ضع يديك الأخرى على

صدرى .. جهة القلب .. وأطاعته وهي مندهشة من

تصرفه .

ثم مالبت أن سألها قائلاً :

- والآن أخبريني عما تحسنيه الآن .

قالت له بدهشة :

- عما أحسه .. وهل أنا التي أتألم ؟

- إنني لأعنى الألم .. أنتي أعنى ما تحسنيه نحوى من

مشاعر .

نظرت إليه بريبة وهي تبعد يديها قائلة :

- إنك لست مريضاً .. وهذه ليست سوى حيلة منك .

انتصب جالساً فوق فراشه في الحال وهو يضحك

قائلاً :

- نعم .. لقد أردت فقط أن أثير مخاوفك .. وأنتقم

مما فعلته بي هذا الصباح .. كما أنتي حظيت بلمستين

رائعتين من يديك الجميلتين .

انتفضت واقفة وهي تنظر إليه بغيظ قائلة :

- بالك من محتال .. مخادع !

***** ١٦٥ *****

ثم تناولت الوسائد وأخذت تقذفه بها ، وهو يرفع إليها
يديه متوسلاً .. ووقف محاولاً الدفاع عن نفسه ، وقد
أمسك بمعصميهما ؛ ليمنعها من الاستمرار فى قذفه
بالوسائد .

وتلاقت أعينهما فى نظرة طويلة معبرة .

كان لا يزال ممسكاً بمعصميهما ، وهو يحس بتيار كاسخ
من العاطفة يدفعه نحوها ، وبدت هى الأخرى ، وكأنها
تندفع نحوه فى تيار مماثل .

وهمس مردداً اسمها بصوت حنون :

- (يسرا) !

لكنها خفضت بصرها وسارعت بجذب معصميهما من
يديه ومغادرة حجرته .. بينما ظل جامداً فى مكانه وهو
يحاول السيطرة على مشاعره .

إن قلبه يخفق بقوة خفقات لم يعرفها منذ زمن بعيد .
أما هى فقد أغلقت باب حجرتها خلفها ، واستندت عليه
بظهرها ، وبدت وكأنها تخشى أن يسمع أحد خفقات قلبها .
وتساءلت فى حيرة .. أتكون قد أحبته ؟ أليس شعورها
الذى تحسه الآن هو الحب بعينه ؟

★ ★ ★

***** ١٦٦ *****

وفى اليوم التالى فوجئت (يسرا) لدى عودتها من
عملها فى حدائق الموالح بوجود فتاة تقف مع (سامح)
وهما يتضحكان عالياً .

كانت الفتاة جميلة .. وكان من الواضح أنه يوجد
تقارب شديد بينها وبين (سامح) ، فما أن رآها حتى هتف
قائلاً :

- (يسرا) .. تعالى لأعرفك (نهلة) .

وقام بإجراء التعارف بين الاثنتين .. قبل أن تستأذن

منهما (يسرا) لتتصرف ..

لاحظت (يسرا) طوال اليوم أن (سامح) يبدي اهتماماً

شديداً برفيقته وتساءلت عن حقيقة مشاعره نحوها .

لقد كانت تشعر بغيرة حقيقية تجاه هذه الفتاة التى

استحوذت على اهتمامه ، إلى الحد الذى جعله ينشغل عنها

تماماً .. وهو الذى كان يلاحقها خلال الأيام الماضية .

واعترضت (يسرا) عن العشاء ؛ لتذهب إلى غرفتها ..

حيث حاولت أن تشغل نفسها .. وتهدئ من نيران الغيرة

التي اشتعلت بداخلها بتنظيم ثيابها داخل حقيبتها .

حينما سمعت طرفاً على الباب فدعت الطارق إلى

الدخول .

***** ١٦٧ *****

ودهشت حينما رأته يدخل عليها حجرتها .. فهذه هي
المرّة الأولى التي يأتي فيها إلى هذه الحجرّة .

سألها قائلاً وهو يحاصرها بعينيه :

- لماذا لم تتناولى عشاءك ؟

- لا أشعر برغبة فى تناول شيء .

ونظر إلى الثياب التي تضعها فى الحقيبة قائلاً :

- ماذا تفعلين ؟

أجابته بجفاء قائلة :

- كما ترى .. أعد حقيبتي فسوف أرحل بعد غد .

- ولكنك لم تنتهى من مقاومة الآفات بعد .

- بل انتهيت ولم يعد باقى أمامى سوى الغد وأكون قد

انتهيت من معالجة المحصول كله .

- وماذا عن النتائج ؟

- إن ذلك سيحتاج لشهرين على الأكثر .

- إذن تبقين لدينا حتى تظهر النتائج ، ونقرر أنك قد

نجحت فى عملك .

- لقد نجحت فى عملى بالفعل .. ولا تنتظر منى أن أبقى

شهرين هنا حتى تظهر النتائج .

***** ١٦٨ *****

- لماذا ؟

- لأننى لا بد وأن أعود إلى عملى .

- إذن .. فلتنستقيلى من عملك .

- هل تريدنى أن أستقيل من عملى ؛ لكى تطمنن على

محصول الموالح ؟

- بل لتبقى بجوارى .. فأنا أعرف أنك تحبيننى .

نظرت إليه بتعال قائلة :

- يالك من مغرور !

- ليس هذا غروراً .. ولكنه إقرار للواقع .. فقد رأيت

نظرات الغيرة فى عينيك حينما كنت أجالس (نهلة) .

- هذا يؤكد غرورك .. فلم أكن أعطيك اهتماماً .

- إنك تكذبين .. فقد تعمدت إثارة غيرتك .

- إذن فقد صورت لك أوهامك ذلك .. ولكن هل تعرف

أنكما تبدوان لائقين لبعضكما .

- لم أكن واهماً يا (يسرا) .. لقد أردت أن أتأكد فقط أنك

تحبيننى كما أحبك .. ولم أعد أرى من تناسبنى فى هذا

العالم سواك .

خفى قلبها بشدة من فرط إحساسها بالسعادة .. لكنها

***** ١٦٩ *****

حاولت إخفاء ذلك .. والتظاهر بالبرود وهي تقول له في
دلال :

- لكنى .. لا أحبك .

أمسك بذراعها ؛ ليجعلها في مواجهته وهو يقول لها :

- هل تستطيعين أن تنظري في عيني .. وأنت تقولين

ذلك ؟

سارعت بخفض بصرها وقد توردت وجنتاها .

وضع أنامله تحت ذقنها وهو يرفع وجهها إليه بلطف

قائلاً :

- (يسرا) .. هل تتزوجيننى ؟

أصابتها حالة من الارتباك وارتفع حاجبها لأعلى

وهي تقول له :

- من ؟ أنا ؟

- نعم .. وسأكون سعيدًا للغاية لو وافقت .

احتاجت لبرهة من الوقت ؛ لكي تستعيد سيطرتها على

مشاعرها .. وأحست بأن هناك إحساسًا غامرًا من السعادة

يجتاحها .. ويحول بينها وبين النطق .

وأخيرًا تحدثت قائلة :

- وماذا عن المزرعة ؟ أما زلت ترغب في بيعها ؟

- من ذا الذى يتحدث عن البيع ؟ إن هذه المزرعة

ستكون هي عش حينا .. وسنعمل فيها معًا سويًا لننميها

ونجعلها تزدهر . لقد علمتني يا (يسرا) ألا أفرط في

الأشياء الجميلة أيًا كان الثمن .

- إذن .. فقد عدت لذاتك يا (سامح) .

- بفضل لمستك السحرية .. لمسة الحب التي حركت

مشاعري وأحاسيسي من جديد .

والآن .. ما هي إجابتك .. هل أنت موافقة على الزواج

منى ؟

تطلعت إليه قائلة :

- وهل تحتاج منى إلى إجابة ؟

أحاط كتفها بساعده في حنان ودفع قائلاً بسعادة

بالغة :

- إذن .. دعينا نرف إليهم الخبر .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

المؤلف



ا. شريف شوق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الاب
او الام حرجا من وجودها بالمنزل

لمسة حب

هناك أحاسيس ومشاعر
نظن أنها قد ماتت بداخلنا ..
ولم يعد هناك سبيل لعودتها
إلى الحياة .. لكنها لكي تعود
من جديد تحتاج فقط إلى ..
لمسة حب ..

63

النس في مصر ١٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في مسائر الدول العربية والعالم